إسماعيل صبري

محاضرة أدبية في حياته وشعره ألقيت
بالجامعة المصرية، مذيلة بأجود
قصائده ومقاطيعه

بقلم

محمد صبري

سنة ١٣٤١ هـ — ١٩٢٣ م

مطبعة الشباب لصاحبها محمد عبد العزيز الصدر

إسماعيل صبري

حياته وشعره

بقلم

محمد صبري

خريج السربون

سنة ١٩٢٣ م - ١٣٤١ هـ

مطبعة الشباب لصاحبها محمد عبد العزيز الصدر

اسماعيل صبرى

بالامس دفناك يااسماعيل وودعنا صافي العيش فيما ودعنا ، ولكنى مازلت الى الساعة يعروني الذهول لفقدك ولا أكاد أصدق ما رأته عيني لما أودعوك الرمس وسووا عليك !

ولقد صدق القائل « شيئان لا يمكن للانسان ان يحدق فيهما ببصره . الشمس والموت » ولكننى أعجب لموتك ، ولو لم تمت بعلة لسألت باى علة ، وأعلم علم اليقين ان الموت قد حصد الملايين من بنى الانسان وجندلهم وبدل الديار ديارا ولكننى لا أكاد أصدق انك كنت أمس ، حين أسلموك الى القبر ، تحت الارض ، وكنت عليها ، وان شبرا واحدا من التراب حال بيننا وبينك ، فما أبعد شقتك ، وما أشد وحشتنا !

وما انس لا انس تلك الشجرات التى صادفناها في طريق

* كتب هذا المقال يوم تشييع جنازة الفقيد ونشر بالعدد المؤرخ ٢٢ مارس من جريدة « السياسة »

جنازتك وكانت تنثر علينا ظلالا ليتها كانت تقينا لفحات الحياة ولذعات الجوي ، وما انس لا انس ذلك الرجل الذى أقبل نحوي ، ونحن وقوف على حافة القبر ، وفي يده كسرة من فص خاتم ، اسماعيل وهو يقول « تلك ذكري » ، ولكن من ذا الذي يحصى الذكريات التي تركتها في قلوب الباكين والباكيات عليك ! لقد كان في كل حركة منك وكل سكنة الف ذكري بل الف حياة ، ففي ذمة الله يا اسماعيل

أعرف صبرى من ثلاثة عشر عاما وكنت أغشى مجلسه كثيراً وأتردد عليه ، وكانت بيننا صلة الابن بالاب البار والتلميذ بأستاذه ، وكان يفيض علينا أدبا وفضلا ومكارم أخلاق ، وكان حلو السمر عذب الحديث

ما كنت أدرى أطعم عافيتي أعذب أم طعم ذلك السمر

ولعل السر في ذلك هو أن صبرى كان في حياته ، كما كان في شعره ، فنانا ، وكم مرة استرعي نظره في الطريق منظر رائع من تلك المناظر الدقيقة التى لا يلتفت اليها أحد فوقف واستوقف يمتع منها ناظريه ، حتى ان المرء ليتساءل أيهما كان أشعر الرجل في حياته أم الشاعر في شعره

كان صبري باشا يحب النور والجمال وكان يحب من اجلهما

الحياة ويقف منها موقف المتعبد ، وكان كثيرا ما يذكر الموت ويخشاه ، لا جبنا ولا فرقا ، بل حبا في الحياة والنور والجمال ، ولقد بلغ من كراهيته للموت أن أصبح يتمناه فقال :

يا موت خذ ما أبقت الـ ايام والساعات مني
بيني وبينك خطوة ان تخطها فرجت عني

ولقد نغص عليه داء القلب آخر سني حياته وكان يتعسر عليه الفهم وهو يقرأ كتابا أو صحيفة سيارة، ويتعب من القراءة اذا أطال ، ورغما من ذلك فقد كنت أرى له أحيانا وهو يحدثنا عن الحركة الوطنية ورجالها حكما كالبرق الخاطف من ذكائه يلوح ثم ينطفيء ،

أما شعر صبري فهو كحياته سمر المسافر ، وأنس المقيم ، وكما كان في حياته يمل سماع الموسيقى طويلا كذلك كان في شعره يكره القصائد الطوال وينظم المقاطيع الرائعة والبيت والبيتين ، وهو فنان يفضل نحت الدمية الجميلة على تشييد هرم جليل

ومن منا لا يذكر قوله مخاطبا القلب :

سلا الفؤاد الذي شاطرته زمنا حمل الصبابة فاخفق وحدك الا نا

وقوله في ساعة الوداع :

ساعة للبين قطعة أنت قدت للمحبين من عذاب السعير

وقوله في لقاء الحبيب

ولما التقينا قرب الشوق جهده … شجيين فاضنا لوعـ
كأن صديقا في خلال صديقه … تسرب أثناء العناق

وقوله في أشجار الجزيرة التي قطعت ابان الحرب

عار عليك وهذا الظل منتشر … فتك الهجير بجسمي في نواحيك
فمن معيري جناحي طائر غرد … كي أقطع العمر شدوا في أعاليك

وقوله :

يا آسي الحي هل فتشت في كبدي … وهل تبينت داء في زواياها
أواه من حرق أودت بمعظمها … ولم تزل تتمشى في بقاياها
ياشوق رفقا باضلاع عصفت بها … فالقلب يخفق ذعرا في حناياها

وقوله :

إذا ماصديق عقني بعداوة … وفوقت يوما في مقاتله سهمي
تعرض طيف الود بيني وبينه … فكسر سهمي فانثنيت ولم ارم

تلك أبيات سارت مسير الشمس في كل بلدة وناد ، وقد وضع صبري باشا « اغاني » كثيرة هي أرقى مانظم من نوعها، وهو في مجموعه شاعر نسيج وحده انفرد بين الشعراء القدماء والمحدثين بطراز من الشعر المسمى Lyrique وهو شعر يطير بجناحين في فضاء الطبيعة والخيال ويسمو بالعاطفة والوجدان الي أبعد غاية ،

وكانوا يتغنون به قديما

ولقد سألته مرة أيهما يفضل الشعر العربي أم الشعر الافرنجي فقال قد يكون الشعر الافرنجي أغنى من الشعر العربي ولكن العربي فاق الافرنجي بالبيت والبيتين

وكان يفضل البحترى على جميع الشعراء وهذا يدل على حاسته الفنية فان أسلوب البحترى أنق الاساليب غير مدافع، وأكثرها دقة وطلاوة

هذه كلمة صغيرة نقولها اليوم عن الفقيد الراحل الذى كان شعره وحياته مؤتلفين ائتلاف الزهر والخضرة فى الروض النضير

فقدناك يا اسماعيل فى أواخر العمر حين حال بيننا وبين لقائك الداء، وفقدناك أمس ففجعنا فيك حيا وميتا

رحمة الله عليك يا اسماعيل، وألهم الله مصر العزاء على أبر بنيها

صبرى فى صباه

لكل أرض أطيار تغرد لها وحدها بين جداولها وغدرانها وآثارها وسمائها، وعشبها وأيكها، ولكل جيل شعراء يحملون لواءه بين شبابه وشيبه ويسيرون بهم الى الغايات فى أقطار الكمال

ولقد كان البارودي يحمل اللواء فى الوقت الذى كان صبرى فيه يتعلم الرمايه. درج صبرى وشب فى أيام اسماعيل وكان يميل بفطرته الى الشعر والأدب وقد وجد فى بيئته وهو تلميذ مايساعده على تعاطى صناعة الشعر فكان من هذه الوجهة أسعد حظا من البارودى (١)

(١) ولد المرحوم اسماعيل باشا صبرى فى ١٦ فبراير سنة ١٨٥٤ وتوفى فى الساعة ونصف صباحا من ٢١ مارس سنه ١٩٢٣ بالغا من العمر ٦٩ سنة وشهراً ويومين . وكان دخوله فى المدرسة فى ٢١ جماد آخر سنة ١٣٨٣ هـ وخروجه من مدرسة الادارة بعد المبتديان والتجهيز به فى ٢٦ مايو سنة ١٨٧٣ أو ١١ شوال سنة ١٢٩١ أي فى الثامنة عشر من

فى ذلك العصر بدأت فى البلاد حركة أدبية مباركة محورها مجلة « روضة المدارس المصرية » التى أنشئت فى ١٥ محرم سنة ١٢٨٧ هـ وكانت « تظهر فى الاسبوعين مرة واحدة » تحت ادارة رفاعه بك أولا ، ثم تولى شؤونها « ناظر قلم الروضة ومطبوعات المعارف على بك فهمى نجل رفاعـه بك » وكان آخر ظهورها فى سنة ١٢٩٤ هـ (السنة الثامنة)

كانت تصدر هذه المجلة خصيصا للمـدارس ولكنها كانت قبل « الوقائع المصرية » الصحيفه الادبية الوحيـدة التى تتبارى

وعمره . ارسل فى ١٧ مايو من السنة عينها تلميـذ بالارسالة المصرية بفرنسا حيث حصل فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٧٦ على شهادة البكالوريا فى الحقوق من كلية ايكس ، وعلى الليسانس فى ١٣ ابريل سنة ١٧٧٨ ثم عين مساعد النيابة العمومية لدى المحاكم المختلطة ، ووكيلا لها بالمنصورة فى ١٧ فبراير سـنة ١٨٨٣ ، ووكيلا لمحكمة طنطا الابتدائية الاهلية فى ٣٠ ديسمبر سنة ٨٣ ، ورئيسا لمحكمة بنها الابتدائية الاهلية فى سنة ٨٥ ، ورئيسا لمحكمة اسكندريه الاهليه فى ٢٣ يونيه سنة ١٨٨٦ ، وقاضيا بمحكمة الاستئناف الاهليـة بمصر فى ٢٩ نوفمبر سـنه ١٨٩١ ، ونائبا عموميا من الحضرة الخديوية أي لمحاكم الاسكندرية فى ٢١ ابريل سنة ١٨٩[illegible] . ومحافظا لثغر الاسكندرية فى ٧ مايو سنة ١٨٩٦ ، ووكيلا لنظاره الحقانية فى ٣ نوفمبر سـنة ١٨٩٩ . واسـتقال الخدمة لبلوغه المرتب الـكامل لوظيفته فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٧

فيها أقلام الطلبة الناشئين جنبا لجنب مع أقلام فحول هذا العصر . أمثال رفاعة بك ، والشيخ حسين المرصفى أستاذ البارودى والمدرس بدار العلوم الخديوية الذى كان ينشر فى هذه المجلة دروساً فى الأدب ، وصالح مجدى ، وعبد الله فكرى ، ومحمد قدرى ، والشيخ حسين والى ، واسماعيل الفلكى وغيرهم فكان الشبان يجدون خير منشط لهم فى هذه المجلة التى كانت تنشر شعرهم وكانت لهم فى الوقت نفسه أستاذا يحتذون على مثاله

وقد نشرت « روضة المدارس » فى عامها الاول فى عدد غاية شوال سنة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧ م قصيدة «تهنئة لعيد الأكبر لحضرة الخديوى الاعظم أدام الله علاه بقلم اسماعيل صبرى أفندى» وكان عمره وقتئذ ستة عشر عاما

سفرت فلاح لنا هلال سعود ونما الغرام بقلبي المعمود
وجنت علي العشاق روض محاسن فسقى الحياء شقائق التوريد
ورنت باحور طرفها وتبسمت فبدا ضياء اللؤلؤ المنضود
يا ربة الطرف الكحيل تعطفي وعلى محبك بالمودة جودي
جودي ولو بالطيف في سنة الكرى وصلي برغم مفند وحسود
قسما بعارضيك في صدق الوفا ماحلت عنك بسلوة وصدود

ومنها :

والي متى ذا الصد عن مضنى الهوى   عودي ايورق باتتو اصل عودي

واستأنفي موصول عائد أنسنا   فالقرب عيدي والبعاد وعيدي

دع ياعذول ملامستي في غادة   هيفــاء قد فاقت جميع الغيــد

عربيــة لو واجهت بدر الدجى   يوما لقال البدر تم ســعودي

والله لولا الله باريء حسـنها   بجمالها الزاهي جعلت سجودي

قسما بنور جبينها وبخالهــا   وسوادشعر واحمرار خـدود

وبقوس حاجبها وسهم لحاظها   وبخصرها وقوامهــا والجيــد

ليطيب لي في حبها ذلي كما   في مدح اسماعيل لذ نشيدي

ومنها :

سمح تراه اذا حلات بحيــه   ابدا يحن الى خصــال الجـود

يبدو صبري الكبير من هذا البيت كما يبدو قرن الشمس من خلل الغمام وقد بدأت تتفتق له المعاني الغريبة فيجتنيها ، وتتهادى امامه الالفاظ العذبة فيقتنصها ، وهذه لفظة « حي » ستتنقل في شعره من بيت الى بيت تنقل الاقمار في منازلها

ومنها مخاطبا « آل مصر » :

هيا اجتنوا ثمر العلي من روضه   وتفيأوا في ظـله الممـدود

هذا البيت يبين لنا عن منتجع خياله ناشئا ، وقوله « يا آل

مصر . » يذكرنا قوله « ياآل ودى عودوا ... » والقصيدة فى مجموعها تقليد لـكنه يشف عن شخصية فى طور التكون كالطائر الصغير الذى يحمل على الجناح مرة ويثب اخرى

ونشر قصيدة اخرى فى ربيع الآخر سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١م) مطلعها

اغرتك الغراء أم طلعة البدر — وقامتك الهيفاء أم عادل السمر

ونشرت « روضة المدارس المصرية » في يوم السبت ١٥ الحجة سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١م) :

« تهنئة للحضرة الخديويه بعيد الأضحى من نظم اسماعيل افندى صبري من تلامذة مدرسة الادارة والالسن »

لا والهوي العذرى والوجد — عذل عذولى فيك لايجدى
انى مع الصد وطول الجفا — باق على الميثاق والعهد
يا عاذلى اقصر وكن عاذري — ولا تطل لومى على سهدي
فشعره مهما تخيلته — أظل ابكى في الدجي وحدي
افديه من حلو مليح البها — تاه على الاغصان بالقد
نشوان من خمر الكري لحظه — في قتلتى ناق على الحد
ماس دلالا ودنا قائلا — يغض الظبي والسمر من جندى
وقد قلبي وانثنى معجبا — وقال لى كيف تري قدي

وقال للورد أما تستحى ... منى اذا فتحت في خدي
تغزلى فيه ومدحى بمن ... رقى الى العلياء في المهد
من مثل اسماعيل آراؤه ... باقية تهدي الى الرشد

لقد عرتني هزة حين وصلت الى قوله « تاه على الاغصان بالقد » والى هذا الشعر الآخر « وقل للورد اما تستحى » لان كليهما ذكرني صبرى الكبير . وانها لهزة كالتي تعرو الانسان حين يلاقي رفيق صباه بعد طول بين واغتراب فيحدق الى وجهه ويتفرس في ملامحه حتى يعرفه لأيا بعد توهم

ويظهر أن صبرى بدأ من ذلك الوقت يحتل بفطنته وذكائه مكانة في الادب تسترعى الانظار فقد نشرت «روضة المدارس» في غرة شوال سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٣ م قصيدة اشارت اليها في الفهرست بقولها « تهنئه عيديه من نظم حضرة اسماعيل صبرى افندى احد نجباء الارسالية المصرية المقيمة بفرانسا لتعلم العلوم الادارية » ، ومهدت لها في الصحيفة التى نشرت فيها قولها :
«قصيدة للمتدين في فنون الادب حضرة اسماعيل صبرى افندى»
وهذا نص القسم الغزلي منها :

كلا مكما ان كان مثل سهام ... فقلبى كحصن لايباح لرامي
اذا رمتما قتلى بغير لواحظ ... دعانى فدون القصد طول صدام

وأن رمتما لي بالملام سلامة ارفقكما يرضى صيال حسام

بروحى الذى لولا اغار من الصبا عليه لما اخرت عنه سلامى

وسقيا لدهر بالاماني محجل ادرنا به للاس غرة جام

فيازمنا ماخلته غير سكرة مضيك ابقى لى خمار غرام

الام اقاسي ما اقاسي من الجوى ومن معشر هاموا بترك هيامى

وحتام يبدو من احب لناظرى ودون حصول القرب الف محام

لعمرك ذا ظلم الحسين بعينه ارى الماء لكن لا يبل اوامي

اياقلب كم تقوى لحمل الذى ارى ويا جفن كم تجفو لذيذ منام

وكم يا فتى تفنى الزمان تغزلا ومدح الخديوى فوق كل كلام

الا تحس معى أن فى هذه الابيات اثرا من آثار الحنين الذى يساعد على نضوج الشاعرية وان كثرة المران جعلت شاعرنا يصيب الهدف فى هذا البيت :

فيازمنا ماخلته غير سكرة مضيك ابقي لى خمار غرام

وفى هذا البيت الآخر

اياقلب كم تقوي لحمل الذى ارى ويا جفن كم تجفو لذيذ منام

هذا ما وقفنا عليه من نشأة صبري والذي يعنينا من كل ذلك هو انه كان يقول شعرا يشف عن سلامة الذوق وصفاء النزعة ، وقد نشرت (الوقائع) فى ٢٩ يونيه سنة ١٨٩١ م ١٣٠٨ هـ

وقال الـورد أمـا تسـتحى   منى اذا فتحت في خـدي
تغزلى فيه ومدحى من   رقى الى العلياء في المهـد
من مثل اسـعما أرواه   باقيـة تهدي الى الرشد

لقد عرتنى هزة حين وصلت الى قوله « تاه على الأغصان بلقد » والى هذا الشعر الآخر « وقال للورد اما تستحى » لان كليهما ذكرنى صبرى الكبير . وانها لهزة كالتى تعرو الانسان حين يلقى رفيق صباه بعد طول بين واغتراب فيحدق الى وجهه ويتفرس في ملامحه حتى يعرفه لأيا بعد توهم

ويظهر أن صبرى بدأ من ذلك الوقت يحتل بفطنته وذكائه مكانة فى الادب تسترعى الانظار فقد نشرت «روضة المدارس» فى غرة شـوال سـنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٣ م قصيدة اشـارت اليها فى الفهرست بقولها « تهنئة عيدية من نظم حضرة اسماعيل صبرى افندى احد نجباء الارسالية المصرية المقيمة بفرانسا لتعلم العلوم الادارية » ، ومهدت لها فى الصحيفة التى نشرت فيها قولهـا : «قصيدة للمتفنن فى فنون الادب حضرة اسماعيل صبرى افندى» وهذا نص القسم الغزلي منها :

كلا مـقلتيها ان كان مثل سهام   فقلبى كحصـن لا يلين لرامي
اذا رمتما قتـلى بغـير لواحظ   دعانى فدون القصد طول صدام

وان رمتما لي بالملام سلامة ارفقكما يرضى صيال حسام
بروحي الذي لولا اغار من الصبا عليه لما اخرت عنه سلامى
وسقيا لدهر بالاماني محجل ادرنا به للاس غرة جام
فيازمنا ماخلته غير سكرة مضيك ابقى لى خمار غرام
الام اقاسي ما اقاسى من الجوى ومن معشر هاموا بترك هيامى
وحتام يبهو من احب لناظرى ودون حصول القرب الف محام
لعمرك ذا ظلم الحسين بعينه ارى الماء لكن لا يبل اوامي
ايا قلب كم تقوى لحمل الذى ارى ويا جفن كم تجفو لذيذ منام
وكم يافتى تفنى الزمان تغزلا ومدح الخديوى فوق كل كلام

الا تحس معى أن فى هذه الابيات اثرا من آثار الحنين الذى يساعد على نضوج الشاعرية وان كثرة المران جعلت شاعرنا يصيب الهدف فى هذا البيت :

فيازمنا ماخلته غير سكرة مضيك ابقي لى خمار غرام

وفى هذا البيت الآخر

ايا قلب كم تقوي لحمل الذى ارى ويا جفن كم تجفو لذيذ منام

هذا ماوقفنا عليه من نشأة صبري والذي يعنينا من كل ذلك هو انه كان يقول شعرا يشف عن سلامة الذوق وصفاء النزعة ، وقد نشرت (الوقائع) فى ٢٩ يونيه سنة ١٨٩١ م ١٣٠٨ه

قصيدة « لاسماعيل بك صبرى رئيس محكمة الاسكندرية »
يهنىء بها الخديوى توفيق بعيد الجلوس مطلعها

عش للعلى مولى وذخرا | واسطع بأفق السعد بدرا

ومما قاله فيها

هذا جلوسك عيده | ملأ الملا بشرا وبشرى
يوم بطالع يمنه | وجه الزمان غدا اغرا
البسته منتا تهز | معاطف الايام كبرا
واياب عباس كساه | جلابيا للحسن اخرى
حنت اليه تشوقا | مصر فعاد يؤم مصرا

وظهرت له حوالى هذه السنة قصيدة أخرى لم اعثر عليها ولكنى اذكر منها اياتها الأولى انشدنيها الاديب الكاتب محمد بك ابراهيم هلال :

لم يدران ملامه اغراكا | اذ لج فى بهتانه ونهاكا
ياحبذا عذل العذول لو انه | داواك من ألم الهوى فشفاكا
قف بالديار وحى ربعا دارسا | لو يستطيع اجابة حياكا
وانثر دموعك فى ثراه صبابة | عل البكاء يزيل بعض جواكا
انرى تنال من البخيله نظرة | تاسو جراحك أو تبل صداكا
مهلا ابا العباس فى طرق العلا | واستبق منها فضلة لسواكا

هل في السماء فضيلة لم تحوها　　تبغى لأجل نوالهـا الافلاكا

هذا الشعر يبين عن بطء تضوج صبري الذى بلغ ٣٧ عاما ولكنك تراه يقلد البحترى ويجرى في غباره في حين ان البارودي جود في صباه ونضج قبل هذه السن ، وكان « احمد افندى شوقى احـد موظفى السكرتارية » في ذلك العهد ينشر شعرا في « الوقائع المصرية » قد يفضل هذا الشعر . لا اظن ان الامر في ذلك يرجع الى المحفوظ الذى يستمد منه بعض الشعراء قوة السبك فيسترون بها ضعف «النفس» الشعرى في أوائل الشباب أو أواخر الكهولة ، أو يرجع الى الذوق الذى يقولون ان نضوجه يحتاج الى مران طويل . واعتقد ان الامر يتوقف من جهة على الاستعداد الفطرى ، ومن جهة اخرى على المؤثرات الخارجية في الحياة ، وهذه عوامل قد يجهلها الشعراء انفسهم أحيانا.

ويخيل الى ان صبرى في هـذه الشقة من العمر كان يفتح كتاب الوجود ويتلمس فيـه الطريقة البكر التى لم يفترعها قبله شاعر ولكنه لم يهتد اليها الا بعد ان حال لون النهار وكان مساء. فجاء شعره كالشفق المذهب يلمع نوره في أفق الحياة عند الغروب

صبري في كهولته

١

سلامة الذوق

يجدر بنا قبل التكلم عن شعر صبري ان نقول ان صبرى لم يلقب «بشيخ الشعراء» الا لانه جمع بين مزايا ثلاث : فضل السبق فى السن ، وفضل السبق فى قول الشعر والتبريز فيه ، وسلامة الذوق فى نقد الشعر

واذا كان لشعر صبري وأغانيه أثر واضح فى تهذيب الادب العصرى لغة وشعرا فقد كان لذوقه النقاد أثر لا عيب فيه الا أختفاؤه عن أعين الجهال اختفاء الجدول العذب فى الماف الغاب

ترعرع صبرى وهو تلميذ شاب فى وقت ارتقى فيه الذوق الادبى وحسبنا ان نقول ان البارودي كان فى ذلك العهد قدجود في الشعر وان الشيخ حسين المرصفي أحد ائمة النهضة الادبية فى

مصر كان ينشر فصولا فى الادب مازالت منهلا صافيا يعل منه طلاب الادب الى اليوم . ويظهر ان صبرى تعشق شعر البحترى صغيرا فجاء نظمه فى صباه نقى الديباجة حسن النسق يشف عن رقة فى الطبع والاحساس والذوق

اذا أضفنا الى ذلك أنه اتم تعليمه فى أوروبا ودرس لغة الافرنج وادبهم وان العناصر الاولى التي تألف منها ذوقه قبل سفره كانت سليمة لا تشوبها شائبة ادركنا كيف أمتاز صبرى على أهل عصره بذوقه وكان عمدة الشعراء والادباء يهتدون برأيه

كانوا جميعا يؤمون داره وكانت داره تذكرنا الاندية الادبية فى القرن السابع عشر في فرنسا، تلك الاندية التي يرجع اليها الفضل فى تهذيب اللغة الفرنسية وتجنب الكلمات الحوشية النافرة لان السيدات كن فيها الآمرات الناهيات يحاسبن على كل لفظة ويتلطفن فى الخطاب .

اليس شوقى هو القائل :

أيام امرح في غبارك ناشئا نهج المهار على غبار خصاف
اتعلم الغايات كيف ترام فى مضمار فضل أو مجال قواف

ومطران :

أى صاحبي لقد قضى أستاذنا البر الحبيب

فمرا قلادتنا -- وكا نت زينة الدنيا شحوب

وحافظ :

لقد كنت أغشاه فى داره وناديه فيها زهى واز دهر
وأعرض شعرى على مسمع لطيف يحس نبو الوتر

ولقد صدق الاستاذ مصطفى صادق الرافعى فيما كتبه(١) .

« ولم يكن فى مصر ممن يحسن ذوق البيان ويميز أقدار الالفاظ بعضها من بعض والوان دلالتها كالبارودى وصبري وابراهيم المويلحى والشيخ محمد عبده رحمهم الله جميعا . والبارودى يذوق بالسليقة وصبرى بالعاطفة والمويلحى بالظرف و الشيخ بالبصيرة النافذة . وذلك شيء ركبه الله فى طبيعة صبرى ولم يحصله بالدرس أكثر مما حصله بالحس ومن أجله كان يفضل البحترى على غيره »

ومما اذكره انني عرضت عليه مرة قصيدة كنت نظمتها فى العام الهجرى ونشرتها جريدة المؤيد سنة ١٩١٢ فاستحسن منها هذين البيتين :

مضى العام مذموم الفعال مشيعا بانة محزون ودمعة مشفق
فلا الغرب فى ساح اليقين بمهتد ولا الشرق من رق الاسار بمعتق

ثم قال لي «اولى بك ان تنظم خمسة عشر بيتا من هذا الطراز

(١) المقتطف فى مايو سنة ١٩٢٣

بدلا من اربعين ـ » ومن ذلك يتبين حب الرجل للاتقان ومحض النصيحة للناشئين

وكان كثير الاعجاب بشوقي . ويقول «شوقي ينظم، وحافظ يبني، ومطران يبتدع»، ولما قال مطران قصيدته الميمية فى حرب طرابلس طرب وكاد يجن بها جنونا وكان ينشد منها هذا البيت مرارا .

يقول للعلم الخفـاق فى يده فتى من الارض ماتختار ياعلم

وقابل مطران بعد ذلك فقال له «لقد اسكرتني ـ أنك فت الشعراء بستمائة عام »

ولقـد كان صـبري يطالع قليلا كل مساء فى دواوين شعراء الافرنج وكان كلما طالع قصيدة عربية أو افرنجية اسـتكرم ثم قطف . قرأت له ذات يوم قصيدة عينية للبحتري فاعجب ايمـا أعجاب بقوله :

لو ان أنواء السحاب تطيعني لشفى الربيع غليل تلك الاربع

ما احسن الايام لولا أنهـا ياصاحبي اذا مضت لم ترجع

ومما كان يطرب له من شعر البحتري قوله :

وقفـة بالعقيق اطرح ثقلا من دموعي بوقفة فى العقيق

وقوله فى الفراق :

ولقد تأملت الفراق فلم أجد   يوم الفراق على امرىء بطويل
قصرت مسافته على متزود   منه لدهر صبابة وعويل

وقوله فى مرثية ابي سعيد :

غايهنأ الارواء بعدك انهم   هدأوا بأطراف الدروب وناموا
امنوا وما امنوا الردى حتى انطوى   فى الترب ذاك الكر والاقدام

وقوله :

ويود العدو لو تضعف الجيـ   ـش عليهم وتصرف الآراء

وكان يعجب بقول الاخر.

يا ام عمرو جزاك الله مغفرة   ردى على فؤادى مثلما كانا
لا بارك الله فى الدنيا اذا افترقت   أسباب دنياك من أسباب دنيانا

وقول من قال .

لا يهنىء الناس ما يرعون من كلأ   وما يسوقون من أهل ومن مال
حسب الخليلين نأى الارض بينهما   هذا عليها وهذا تحتها بالى

وقول ابن خفاجة:

يقابلنا الصباح ببطن حزوى   فينكرنا ويعرفنا الظلام
فياظل الشباب وكنت تندى   على افياء سرحتك السلام

وقول الآخر

هات يابرق قل حديثك عن نجـ   ـد فحيا الاله عنى نجدا

قل وان كان ما تحدث زورا   فلقد تبرد الاكاذيب وجدا

وكان اسماعيل رحمة الله عليه فى جميع حركاته وسكناته مثالا عاليا للذوق يتانق فيها من غير كلفة وتصنع كما يتانق الربيع فى الباس الارض حلة عروس

ولا ريب ان الذوق من أكبر عوامل النهضة الادبية واللغوية والاجتماعية سيما فى طور الانتقال ، وقد كان صبرى ذواقالا يدانيه فى فن الذوق مدانى

على ان ذوق صبرى الذي زاد صقلا ورونقا مع طول المران يتجلى فى شعر كهولته . وهذا شعر خالد قد ذاع الكثير منه على كل لسان ، ومن تأمل فيه رأى دقة الصنع وصفاء الطبع وسمو الخيال

٢

شعر الكهولة

بدأ شعر صبري ينضج فى كهولته وقت ان كان البارودى فى منفاه وكان شوقى فى صباه يجرى على الاثر « جرى المهار على غبار خصاف » ، وقد نظم شوقى سنة ١٨٩١ م قصيدة فى مدح المغفور له توفيق باشا مطلعها:

مضنى وليس به حراك   لكن يخف اذا رآك

جاء فيها:

ما همت فى روض الحمى   الا واسكرنى شذاك
والقلب مخفوض الجنا   ح يهيم فيه على جناك

وقد جاراه صبرى بقصيدة مطلعها:

وجد يؤججه جفاك   وأظى تسعره نواك

ولكننى لم اعثر على هذه القصيدة ويقال انها من شعره

الجيد ولعلها أول أثر من آثار النضوج الشعرى عند اسماعيل

ومما يثبت نضوجه فى هذه الآونة قصيدة اخرى نشرتها له « الوقائع » فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٩٣ هنأ بها الخديوى عباسا بعيد الفطر . وكان وقتئذ « اسماعيل بك صبرى وكيل محكمة الاستئناف الاهلية » . وهذا نص القصيدة .

بعلاك يختال الزمان تبخترا ... وبقدرك الاسمى يتيه تكبرا

ومفاخر الآباء زاد جمالها ... كالروض حياه الربيع فنورا

حسب الديار ديار مصر اذا دجى ... ليل الخطوب بحسن رايك نيرا

وكفى الرعية أن يقوم برعيها ... مولى يلذ بأن تنام ويسهرا

الملك سيف منك احكم صقله ... وبدت بتنبيه خلالك جوهرا

شهدت سيوف الهند حين رأينه ... ان السيوف بمصر اكرم عنصرا

وعدت تقر بأن ماضى حده ... قد رد باترها المصمم اثرا

عباس قد سست البلاد سياسة ... سيحدث التاريخ عنها الاعصرا

انفذت حكمك بادها بمسائل ... دقت على الحكماء ان تتصورا

طربت لحكمتها الشيوخ واذعنت ... فلو ان رسطا ليس ثم لكبرا

زيفت قول المرجفين مبينا ... للحق نهجا كاد ان يتنكرا

وبنيت سدا من ذكائك دونهم ... فاريتنا يأجوج والاسكندرا

يا صاحب النيل الذى جرت به   مصر على البلدان ذيلا اخضرا(١)
حققت آمال البلاد وجزتها   شأوا وما جزت الشباب الانضرا
رامتك شبلا كي تعز عرينها   فابيت الا أن تكون غضنفرا
همم اذا مدت لمفتخر يدا   لا ترتضي الا الاعز الاكبرا
وعزيمة ميمونة لو لامست   صخرا لماد الصخر وصار ازهرا
لله كيف ركضت فى طرق العلا   فقطعتها حيث الجدود قصرا
لو ان غيرك سالك هضباتها   ورأى مجاهل سبلها لتعثرا
لكن جاشك لا يمكن منهجا   يفضى الى العلياء ان يتوعرا
ياليت اصلا انت خير فروعه   يوما يرد الى الحياة لينظرا
ويراك تبنى المجد مثل بنائه   وتذود عن حوض الجدود مظفرا
وتحير الدنيا بسيرتك التى   قد سارها قدما فاكبرها الورى
يا ابن الذين سموا لابعد غاية   فتسنموا القنن الشوامخ والذرى
عزز بناءهم الذى قد وطدوا   تشكر وشيده يشد لك مفخرا
وتول تذليل الصعاب فانها   مرهونة حتى تقول وتأمرا
ان الذى جعل العزائم بعض ما   أوتيت قدر أن تعان وتنصرا
لم يخلق الله الشهامة فى امرىء   الا لخير قد أراد ودبرا

(١) لا أظن القارىء بحاجة الى تنبيهه الى ما فى هذا البيت من جمال التصوير

ومغاب العقبات حتما غالب   الا اذا اطرح الثبات وأقصرا
بشرى فشهر الصوم أقبل باسما   يهدى اليك من السلام الاعطرا
ويثيبك الاجر المضاعف راحلا   اذ كنت أفضل من يثاب واجدرا
شهر كما زنت الامارة ناشرا   فينا لواء العدل زان الاشهرا
لله در نداكما فلقد جرت   ايامه اجرا وكفك ابحرا
بشراك بالعيد السعيد فانه   قد أم بابك راضيا مستبشرا
ورأى بناديك البهى مهابة   كتبت على حنبات عرشك اسطرا
واهنأ فان لنا هناء طيبا   فى أن تسر به وحظا اوفرا

هذه قصيدة بحترية صرف، وهى من أصفى الشعر المصرى ديباجة ومن أراد أن ينظر كيف يحاكي الفرع الاصل فليتأمل هذه القصيدة . وقصيدة « فرعون وقومه » ،وقصيدته التى هنأ بها « المرحوم السلطان حسين حينما أسند اليه منصب السلطنة المصرية » ، وقصيدته «الى الامير عمر باشا طوسن بمناسبة اعانته جرحى الحرب البلقانية » ، وقصيدته التى قالها سنة ١٩١٤ فى « حفلة تكريم واصف بك غالى » ، وقصيدته التى قالها فى حرب طرابلس ، وقصيدته التى « عزى بها السلطان حسين بفقد والدته سنة ١٩١٧ . وقصيدته التي هنأ بها الخديوى عباس سنة ٩٠٨

على أن هذه القصائد ليست بحترية باسلوبها وحده بل

« بالروح » التي تشف عنها : وهذا يدل على شدة تعلق صبرى بالبحترى ونسجه على منواله . وهذا البارودى قد نسج على منوال البحترى ولكنه لم يتعلق به تعلق صبري فجاء شعره يحاكي شعر البحترى فى احكام الصناعة وصقل الديباجه ولكن تنقصه هذه « الروح » التى تطل من اول شطر فى قصيدة صبري :

(بعلاك يختال الزمان تبخترا)

واذكر مرة أن حافظ حدثنى فى الطريق عن البحترى والمتنبي فقال : « البحترى شاعر يفتح ذراعيه فى الطريق لمن يقابله ويأخذه بالحضن . أما المتنبي فيجب ان تقف امامه ز نهار وتضرب سلام » وهذا أحسن تصوير للبحترى وروحه . وكذلك كان صبرى فى حياته وشعره

* * *

ولكن شخصية صبري الحقيقية تتجلى فى خمس اوست قصائد اخرى قصيرة وفى مقاطيعه . وقد ضرب فيها على وترين وتر الحكمة ووتر الوجدان . وقد وصف خليل مطران الطريقة التي يجرى عليها فى نظمه ، قال : « اكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله من مثل حادثة يشهدها أو خبر ذى بال يسمعه أو كتاب يطالعه . ولما كان لا ينظم للشهرة بل لمجاراة نفسه على ماتدعوه اليه

فالغالب في أمره انه يقول الشعر متمشيا وربما قاله بحضرة صديق وهو مائل عنه بعنقه وله بين حين وحين، أنة يثني ماتندّق لفظة « إيه » مستطيلة . ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة الى أربعة الى ستة وقلما يزيد على هذا القدر الا حيث يقصد قصيدة وهو نادر . شديد النقد لشعره كثير التعديل والتحويل فيه حتى اذا استقام على مايريده ذوقه من رقة اللفظ وفصاحة الاسلوب اهمله ثم نسيه . وهكذا يمر به الآن بعد الآن فيعيش في صدره الشعر فيرسلني يتيه اطلاق زوجي الطائر فيذهبان في الفضاء ضاربين من اشعارهما باجنحة ملتمعة شاديين على توقيع العروض الى أن يتواريا وينقطع نغمهما من عالم النسيان ذلك هو الشعر للشعر »

كان صبري في حياته ينزع كثيرا الى قول الحكمة ولكنه لم يوفق فيها كما وفق في شعره « الغنائي » الذي امتاز به على جميع معاصريه بلامراء وهو ماسنفصله فيما بعد

ولا أعرف له في الحكمة عدا المقاطيع الا قصائد « الدواة » و« الساعة » و« نجم هالي » ومرثية مين إشافكري، وفي هذه القصائد التي تبعث الشجا تنعكس الحياة وساعاتها والوجود وصوره كما تنعكس الطلول البوالي على صفحة البحيرة الصافية، ولو أن الدنيا

تمثلت شخصا لما خاطبها صبرى بأحسن من قول أبى تمام يخاطب عمورية :

ولا الخدود وان أدمين من خجل اشهى الى ناظرى من خدك الترب

ذلك بأن صبرى شاعر كان قد جرب الحياة وذاق حلوها ومرها واشتبهت عيناه فى وجوه الامم والرجال التى حدق فيها طويلا فعلا وجهه منها ذلك الشحوب البادى وارتسم عليه ظل من الكآبة كانت تلطفه ابتسامة شفتيه ، وهل صور شاعر قبله الحياة بمثل قوله :

وان تجد من بينها ساعة جعبتها من غصص خالية

فاله بها لهو الحكيم الذى لم ينسه حاضره ماضيه

وامرح كما مرح ذو نشوة فى قلة من تحتها الهاوية

وهل قال أحد فى الوجود وساكنيه مثل قوله وهو من الابيات الجامعة .

تعب الفيلسوف فى الناس عصرا وتولى السرائر الدين عصرا

وقوله وهو من السهل الممتنع النادر فى الشعر العربى .

دبر كلها الليالي ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرا

ثم انظر كيف يخاطب نجم هالى .

هل تلقيت من لدن خاذل البا غى وحامى الضعيف يا نجم سرا

أغدا تستوى الانوف فلا ينـ ظرقوم قوما على الارض شزرا

أغدا كلنا تراب ولا ملك خلاف التراب برا وبحرا

أغدا يصبح الصراع عناقا فى الهيولى ويصبح العبد حرا

ان يكن كل مايقولون فاصدع بالذى قد أمرت حييت عشرا

هذه الابيات تشف عن شغل الحكيم الشاغل في هذه الحياة ، عن ذلك المثل الأعلى للحرية والاخاء والمساواة الذى أراقت الامم دماءها على بابه المنكود دون أن تبلغه . وها هو شاعرنا يريد أن يصل اليه عن طريق الموت والعالم الابدي.

وقد تجلي هذا الشغل الشاغل فى قصيدة الدواة حيث يقول

واذا الظلم والظلام استعانا يوم نحس بأجهل الجاهلينا

واستمدامن الشرور مدادا فاجعليه من قسمة الظالمينا

وحيث يقول .

واذا كان فيك نقطة سوء كونت من خبائة تكوينا

فاجعليها قسط الذين استباحوا فى السياسات حرمة الاضعفينا

وحيث يقول للاتراك بعد الدستور

الحق ابلج سلوا دن بيضته قبل السيوف سيوفا من براهين

لاتلبسوا ثوبه بين الانام غدا ملوثا بدم القوم المساكين

ويدخل أيضا فى هذا المعنى قوله يخاطب عباس وقد صاغ

النصيحة فى قالب تقرير حقيقة واقعة وهذا غاية فى الادب وحسن السياسة .

ياليت أصلا أنت خير فروعه　　يوما يرد الى الحياة لينظرا
ويراك تبنى المجد مثل بنائه　　وتذود عن حوض الجدود مظفرا

وقوله .

مستنجدا من بنى مصر الى شمم　　اذا رأوا ثلمة فى حوضهم جبروا

ولا يفوتنا أن نقول ان فى بيت صبرى

أغدا يصبح الصراع عناقا　　فى الهيولى ويصبح العبد حرا

لمشهدا من أجل المشاهد التى لا يمكن عينا أن تحيط بها .

ويظهر أن شاعرنا مولع بالمشاهد الواسعة الممتدة ، وهذه النزعة تتجلى فى قصيدة « فرعون وقومه » ،ومن هذه المشاهد ما يتناوله الحس كقوله :

وآزرته جماهير تسيل بها　　بطاح واد بماضى القوم ملآن

ومنها مايتناوله المعنى كقوله فى وصف الاهرام :

كأنها والعوادي فى جوانبها　　صرعى بناء شياطين لشيطان

وقوله فيمن شادوها :

بادوا وبادت على آثارهم دول　　وادرجوا طي اخبار واكفان
وخلفوا بعدهم حربا مخلدة　　فى الكون ما بين احجار وازمان

ولعل أجود شعر قاله صبري في الحكمة كان شعر الحياة والموت. قال رحمه الله يصف « راحة القبر » :

ان سئمت الحياة فارجع الى الار ص تنم آمنا من الاوصاب
تلك ام احني عليك من الام التي خلفتك للاتعاب
لاتخف فالممات ليس بماح منك الا ماتشتكي من عذاب
كل ميت باق وان خالف العذ وان مانص في غضون الكتاب
وحياة المرء اغتراب فان ما ت فقد عاد سالما للتراب

حدثني حافظ ان هذا البيت الاخير هو أجود ممن قاله صبري. ويخيل الى ان روح ابي العلاء تطل من كل بيت من هذه الابيات حين يقول :

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

ولكن ابا العلاء ينظر الى الارض نظرة اخرى تشف عن جوى باطن :

خفف الوطء ماأظن اديم الا رض الا من هذه الاجساد

ينظر اليها المعري نظرة الشاعر الفرنسي « الفريد دي فيني » الى الطبيعة في قوله : « انهم يسمونك اما وما انت الا قبر » ، ونظرة شوقي في قوله :

عقمت بنيها ظاهرا واظن باطنها اعقا

***

عند الافرنج نوع من الشعر يدعي Lyrique نسبة الى Lyre وهي القيثارة ولا ادرى ماالذي يمنعنا من تسميته بالشعر «الغنائي» فان هذا الضرب من الشعر كان يغنى به فى القرون الوسطي وهو شبيه « بالاغانى » فى الشعر العربي

وقد تفنن صبرى فى هذا الشعر الوجدانى ونظم فملا للغناء ادوارا خاصة ، منها (الفجر لاح قوموا ياتجار (١) النوم)

ومن أدواره المشهورة « دور للغناء قديم على نغمات العود »:

مذهب بياتى

قدك أمير الاغصان	من غير	مكابر
وورد خدك سلطان	على	الازاهر
دا الحب كله اشجان	يا قلب	حاذر
والصد ويا الهجران	جزا	المخاطر

دور

يا قلب اذا انت حبيت ورجعت تندم

(١) كلمة «تجار» هذه قد وردت مخففة فى بيت من احسن شعر له قيل في الرثاء :

الا يا تجار العصر هل فيكم امرؤ	يبيع على صرعى الهموم عزاء
اذا دلنى منكم على مثله فتى	خلعت عليه ما يشاء جزاء
ففى الحي قوم عاكفون على لظى	تذيبهم البلوى صباح مساء
يخالهم الرائى سكارى من الاسى	فيبكى عليهم رحمة ووفاء

وصيحت تشكى مارايت لك حد يرحم
صدقت قولى ورأيت ذل المتيم
ياما نصحتك ونهيت لو كنت تفهم

دور

اعرض لحسنك أوراق وا كتب ودون
وابات صريع الاشواق واحسب واخمن
دا هجر وصبابة وفراق يارب هون
وارحم قلوب العشاق دا شىء يجنن

وشعره « الغنائي » أنواع منها النوع المتقدم الذى جعل خصيصا للغناء ومنها ماتتخلله نزعة دينية ـ وقد نظم « لامرتين» من هذا النوع دواوين ـ مثال ذلك قول شاعرنا .

الى الله

يارب أين ترى تقام جهنم للظالمين غدا والاشرار
لم يبق عفوك في السموات العلى والارض شبرا خاليا للنار
يارب اهلنى لفضلك واكفنى شطط العقول وفتنة الافكار
ومر الوجود يشف عنك لكى ارى غضب اللطيف ورحمة الجبار
يا عالم الاسرار حسبي محنة علمى بأنك عالم الاسرار
اخلق برحمتك التى تسع الورى الا تضيق بأعظم الاوزار

هذه الابيات من خير ما قيل فى الاستعطاف والرجاء ،
وهى من ارقى الشعر الغنائى الذى يعلو بالعاطفة الدينية الخالصة
الى السماء كما تعلو الصلوات لله . وما اكثر الشبه بين قوله :

ومر الوجود يشف عنك لكي اري　　غضب اللطيف ورحمة الجبار

بقول لامرتين .

Et J, ai monte devant sa face
et La nature m,adit passe
ton sort est sublime, Ilt,avu

« صعدت أمام وجهه الكريم ، فقالت لى الطبيعة سر فى
طريقك . ما أعظم شانك ، انه رآك »

فانت ترى كيف التقى الشاعران فى سمو الخيال وصفائه . على
أننا اذا قلنا ان شعر صبرى الغنائى كان شبيها بالصلاة التى تذهب
صعداً نحو السماء فقد كانت الطبيعة له معبدا ، وكانت المرأة
فى هذا المعبد « تمثال جمال » :

يالواء الحسن احزاب الهوى　　أيقظوا الفتنة فى ظل اللواء
فرقتهم فى الهوى ثاراتهم　　فاجمعي الامر وصوني الابرياء
ان هذا الحسن كالماء الذى　　فيه للأنفس ري وشفاء
لاتذودي بعضنا عن ورده　　دون بعض ، واعدلى بين الظماء
أنت يم الحسن فيه ازدحمت　　سفن الآمال يزجيها الرجاء

يقذف الشوق بها في مائج بين لجين . عناء وشقاء

شدة تمضي وتأتي شدة تقتفيها شدة ، هل من رجاء

ساعفي آمال انضاء الهوى بقبول من سجاياك رخاء

وتجلي واجعلي قوم الهوى تحت عرش الشمس بالحكم سواء

أقبلي نستقبل الدنيا وما ضمنته من معدات الهناء

واسفري ، تلك حلي ما خلقت لتوارى بلثام أو خباء

واخطري بين الندامى يحلفوا أن روضا راح في النادي وجاء

وانطقي ينثر اذا حدثتنا ناثر الدر علينا ما نشاء

وابسمي ، من كان هذا ثغره يملأ الدنيا ابتساما وازدهاء

لا تخافي شططا من انفس تمتري الصبوة فيها بالحياء

راضت النخوة من اخلاقنا وارتضى آدابنا صدق الولاء

فلو امتدت أمانينا الى ملك ما كدرت ذاك الصفاء

أنت روحانية لا تدعي ان هذا الشكل من طين وماء

وانزعي عن جسمك الثوب يبن للملا تكوين سكان السماء

وأرى الدنيا جناحي ملك خلف تمثال مصوغ من ضياء

نشرت هذه القصيدة لاول مرة في « المجلة المصرية » في يونيه سنة ١٩٠١ ، وهذا ما قاله خليل مطران بهذه المناسبة .

« كانت الغزليات قبل الآن فيها ما يمس الآداب العمومية من

ذكر القدود والنهود والفم والعناق ورقة الخصر وكثافة الردف ولقد كان هذا من العام حتى فى قصائد المديح للملوك والامراء وهو مالا ترضاه الاذواق فى هذه الايام وينكره علينا ادباء الغرب . وقد سئل صاحب السعادة المفضال اسماعيل باشا صبري نظم أبيات تنقل الى اللغة الفرنساوية وتجعل فى كتاب يؤلف الان فى مختار الشعر العربي قديمه وحديثه فجادت قريحته الوقادة بهذه الابيات التى جاءت على الطريقة الصوفية من حيث سمو الخيال ونزاهة الشيمة وغرابة الوضع ولعلها احسن ما جمع فيه بين الاسلوبين العربى والغربي فى نظم الشعر »

يحب صبرى المرأة لانها تمثل الجمال وهو ينظر اليها نظرة المصور الماهر الي دمية جميلة يجد فى جمالها ظلا ينزوي فيه من هجير الحياة :

ان هذا الحسن كالماء الذى   فيه للانفس رى وشفاء

وقد يفتن الجمال المصور أو الشاعر ويسمو به الى أعلى مراقى الخيال فتتمثل المرأة كأنها قطعة من النور الآلهى هبطت على الارض لتلقى عليها عزاء وسلاما . وهنا يقف الشاعر موقف العابد وتصفو نفسه وتعلو كقطعه من نور تلتقى بالاخرى ثم تتلاشيان تلاشى اللجتين على ساحل الفناء

لاتخافي شططا من انفس ، تعثر الصبوة فيها بالحياء
فلو امتدت امانينا الى ملك ما كدرت ذاك الصفاء
وانزعي عن جسمك الثوب بين للملا تكوين سكان السماء
واري الدنيا جناحي ملك خلف تمثال مصوغ من ضياء

وأعرف لصبري ابياتا ارق من نسمات السحر تكاد تبعث ميت الهوى وتعيد أيام الشباب النضر وتفجر الماء الزلال من الصخر ، قال رحمه الله شاكيا مسترحما :

ابثك مابي فان ترحمي رحمت اخا لوعة مات حبا
واشكو النوى ما امر النوى علي هائم ان دعا الشوق لبا
واخشى عليك هبوب النسيم وان هو من جانب الروض هبا
واستغفر الله من برهة من العمر لم تلقني فيك صبا
تعالى نجدد زمان الهناء ونتهب لياليه الغر نهبا
تعالى اذق بك طعم السلام وحسبي وحسبك ما كان حربا

أجل كانت المرأة شغل فؤاده وقد بلغ من تعلق شاعرنا بها انه كان يراها في حاضره وكان يراها بعين الذكرى في ماضيه ، ومنذا الذي يذكر روضة الشباب ولا يذكر القماري ، فينشد تارة:

عسى تذكرنا الشباب وعهده حسناء مرهفة القوام فنذكر
ثب القلوب الى العيون اذا بدت وتطل من حدق العيون وتنظر

وتارة :

اخفق فؤادي فما الذكرى بنافعة ... ولا بشافعة فى رد ما كانا
سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا ... حمل الصبابة فاخفق وحدك الآنا

واخرى (وهذه الابيات لم يسبق نشرها) (١) :

يا مقر الغزال قد صح عندى الـ ... ـيوم اني اقتحمت منك عرينا
حسب عينى مارا بها من قلوب ... بات يغرى بها السواد عيونا
وضلوع جاءتك وهى خوال ... ثم عادت ملأى هوى وشجونا
ما الذى يبتغى غزالك منى ... بعد كونى عبدا له ان اكونا
كلما قلت قد ابل فؤادي ... ساورته الذكرى فجن جنونا

ولقد كان صبرى يرى المرأة في صورة ملاك ، وقد يراها غيره في صورة الدنيا التى قال فيها ابو نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

والتى قال فيها ابن المعتز : « وعد الدنيا الى خلف وبعد امانها الفجع طواحة طراحة آسية جراحة كم راقد فى ظلها قد ايقظته وواثق بها قد خانته حتى يلفظ نفسه ويودع دنياه »

ومن هذا القبيل قصيدة « الفريد دى فينى » المسماة « شمشون ودليلة » التى وصفت المرأة فيها بالخيانه والغدر (وهى ممر به فى

---

(١) روى لى هذه الابيات الكاتب الاديب الاستاذ صادق افندى عنبر.

الجزء الثاني من بلاغة الغرب)

وكان يراها في صورة ريحانة تحسد السماء من أجلها الارض:

يا راحة القلب يا شغل الفؤاد صلى ... متى انت الحالين دنياه
زينى الندى وسيلى فى جوانبه ... اعطافا يمم رعايا اللطف ريه
ريحانة انت فى صحراء مجدبة ... من الرياحين حيانا بها الله
فغاب ساقى الغلا وصد لا حرج ... هذا جمالك يغتبنا محياه

اليس يخيل اليك ان هذا الشعر نغمات موسيقية هبطت علينا خاسة من السماء هبوط الندى فى ليلة من ليالى الربيع . تلك نغمات تشف عن نفس محزونة تحن الى منازل الكمال فى ذلك العالم العلوى كما يحن غريب الدار الى الاوطان . وهذا الحزن هو أكبر مميزات الشعر الغنائى الذى هو شعر العاطفة والوجدان ، ولعل مطران اشار الى هذا بقوله .

بلغ الحقيقة شاعر ... منفره الوهم الكذوب
اوفى على عدن وما ... هو عن محاسنها غريب

ولقد كان شاعرنا يفتش عن الحقيقة فى دنياه وهى كالظل يمعن فى الجرى وراءها وهى تمعن فى الهرب . قال من ابيات له لم يسبق نشرها يخاطب سيدة تدعى الكسندرا :

اثرى الدريا سمية اسكندر لا فض عقده فى فيك

واميطى عن الحقيقة مايحـ ـجب عناجمالها من شكوك

والشاعر الغنائى أبدا يهيم في وادي الغرائب ويتخـذ الجمال ومظاهره فى هـذه الحياة الدنيا سلما من ضياء يرقى به اسباب السماء . ذلك بان ازاهير الارض سريعة الذبول . ونجومها سريعة الافول ، وجمالها سريع الزوال كالنار لاتلبث أن تحور رمادا . وهذا الرماد الذى يذوقه كل من احب وجرب وعاش وشب وترعرع في حجر الجمال يحبب الى الانسان طعم العدم والفناء . ويدفعه الى مناجاة الموت مناجاة الالف اليفه :

ياموت خذ ما ابقت الا يـام والسـاعات منى

بينى وبينـك خطـوة ان تخطها فرجت عنى

وقـد حـدثت لصبرى وقت ان كان محافظا للاسكندرية حوالى سنة ٩٧ رضوض على اثر اصطدام القطار به فى طريقه الى القاهرة فظل غائبا عن الوجود خمسة عشر أو عشرين يوما . روي لى حافظ انه قابله بعد ابلاله فقال له صبرى مامعناه : « وددت أني لم أفق فقد ذقت مرارة الوجود »

على أن هذا الرجل الذى كان يحب فى الموت ذلك « المنقذ السماوى » ـ كما كان يسميه لامرتين ـ ما كان أشد جزعـه اذا راى الصراع القائم فى هذه الدنيا بين الموت والجمال ، ورأى البلى

يضير على حسن الوجوه والفناء يدب فى مخضر الشجر ،

وهل بكى شاعر حبه للطبيعة وود لو نزل منها مكان سمعها وبصرها وظل بين نحرها وصدرها حتى تواريه فى قبرها بمثل قوله يناجى سرحة الحى :

عار عليك وهذا الظل منتشر فتلك الهجير تجتلى فى نواحيك
فمن معيرى جناحى طائر غرد كى اقطع العمر شدوا فى اعاليك

ثم انظر كيف رثى ابنا صغيرا للشيخ على يوسف بابيات قالها ارتجالا يوم دفنه ، وقد قال عنها « المؤيد » انها (لصديق) من كبار الشعراء :

يامالئ العين نورا والفؤاد هوى والبيت انسا تمهل ايها القمر
لا تخل افقك يخلفك الظلام به والزم مكانك لا يحلل به الكدر
فى الحى قلبان باتايا نعيمها وفيهما اذقضيت النار تستعر
وأعين أربع تبكى عليك اسى ومن بكاء الثكالى السيل والمطر
قد كنت ريحانة فى البيت واحدة يروح فيه ويغدو نفحها العطر
ماكان عيشك فى الاحياء مختصرا الا كما عاش فى اكمامه الزهر
فارحل تشيعك الارواح جازعة فى ذمة الله بعد الفبر ياعمر

لم يجد المرحوم الشيخ على يوسف نفسه فى رثاء ابنه افضل من نثر هذا الشعر سيما البيتين « فى الحى قلبان ... واعين اربع

تبكي عليك اسى » . ذلك بان صبرى قد اجاب فى بكاء هذا الطفل داعية الجمال وقد ذوى منه ذلك الفريع المتدلى فى دوحته

وقصارى القول كان صبرى في شعره الغنائى ينشد الحب والموت والجمال والصداقة. اما الصداقة فكان يجد فيها ريا للنفوس الظماء . وكانت تنزل من نفسه منزلة الحب فقال :

ولما التقينا قرب الشوق جهده شجيين فاضا لوعة وعتابا
كأن صديقا فى خلال صديقه تسرب اثناء العناق وغابا

ولا ارى رأى الاستاذ مصطفى صادق الرافعى فى تعليقه على هذين البيتين : « وهذا المعنى على ابداعه فيه متداول واصله لبشار ــ اظن ــ فى قوله :

وبتنا جميعا لو تراق زجاجة من الخمر فيما بيننا لم تسرب

« فابدع صبرى فى اخذه وجعل من هذه الزجاجة المنصدعة جوهرة تتالق » ثم قال « على اني لا استحسن قوله « كأن صديقا » فما هذا بعناق الاصدقاء .. »

واري اذا كان لابد وان يكون صبرى قد اخذ هذا المعنى من احد قبله ــ وهذا مالا اظن ــ فقد اخذه من Montaigne «مونتيني» الفيلسوف الفرنسي فى القرن السادس عشر الذى قال في موقف عناق « وما كنت ادرى أكان هو ام انا »

(Je ne sais pas si c'est lui, si c,estmoi) يشير بذلك الى فناء الشخصين احدهما فى الآخر .

ثم انظر الى دقة تصوير الذكرى التى تتمثل فى طيف الود وتتداخل بلطف بين الصديقين المختصمين فتكسر السهم والقوس:

اذا خانني خل قديم وعقنى   وفوقت يوما فى مقاتله سهمي
تعرض طيف الود بينى وبينه   فكسر سهمى فانثنيت ولم ارم

على ان هناك ضربا من الشعر الغنائى اجاد فيه صبرى، ذلك هو حب الديار والاوطان . وقد قال الشاعر « فراين » : « حب الوطن هو اول حب وآخر حب بعد حب الله » . وقال صبرى « احب الحرية فى ثلاث . فى المرأة فى ظل زوجها . وفى الرجل تحت ظل شريعته . وفى الوطن تحت ظل الله » . وقد يكون هذا الحب حنينا بحتا كقوله عن لسان شوقى وهو بالاندلس ، (وهى ابيات غير التى ارسلها شوقى اليه وقيل وقتئذ ان شوقى بعث بها الى حافظ)

يا ساكنى مصر انا لا نزال على   عهد الوفاء وان غبنا مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم   شيئا نبل به احشاء صادينا
كل المناهل بعد النيل آسنة   ما ابعد النيل الا عن امانينا

وقد يكون هذا الحب تقريعا مرا لبنى وطنه على القعود عن الذود عن حقوق البلاد . ولكنه تقريع فى قالب هزلى تتجلى

فيه تلك النكتة المصرية اللطيفة التى تكشف عن دقة الملاحظة وخفة الروح (١) . انظر الي قوله على اثر استقالة وزارة مصطفى فهمى عن لسان بعض اعضائها ، وقد نشرت هذه المقطوعات فى أهرام ١٦ نوفبر سنة ١٩٠٨ ، قال عن لسان « مصطفى » بتوقيع بنتاؤور ،

نى استغفر الله اليكم	آل مصر ليس فيكم من رجال
قل غربي ماادرى من قومكم	ورضاكم بوجود الاحتلال
بح صوتى داعيا مستنهضا	سار غاحتى تولانى الكلال
لم اجد فيكم فتى ذا همة	ان عدا الدهر عدا اوصال صال
رحم الله وزرا سمه	قومه ماليس يرضى فاستقال

وقال عن لسان عباس :

ياجنود البر والبحر اشهدوا	واسمعوا مني كلمات فصاح

(١) نذكر بهذه المناسبة ان المرحوم صبري باشا نظم مقطوعات فكاهية كثيرة فى حوادث شخصية شتي منها مانشر وعرف لوقته ومنها مالا يعرفه الا القليلون وذهب اكثره في عالم النسيان من النوع الاول مماقاله في مصنوع :

انا نسل الاولى رفعوا بناء	يرى للنسر فوق ذراه بيت
اريش يراعتى بمداد حبرى	وانى لاح لى هدف رميت
وان احد تعرض لى بسوء	وقفت وراءه صدغ واختفيت

ذى يدى قد مزقتها لقم تجتنى من فوق اطراف الرماح

ذاك جسمى وسم الدهر على كل عضو منه اهوال الكفاح

انى عفت تكاليف العلى بينكم والعيش فى ظل الصفاح

رحم الله وزيرا عاملا ملئت نخرا يداه فاستراح

وقد يكون هذا الحب استنهاضا لقومه وحثالهم على الاقتداء بمثل حى فى امة من الامم الحديثة الناهضة . مثل ذلك :

نشر شوقى فى « اهرام » ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٨ قصيدة في الدستور العثمانى جاء فى ختامها :

ياشعب عثمان من ترك ومن عرب حياك من يبعث الموتي ويحييها

صبرت للحق حين النفس جازعة والله بالصبر عند الحق موصيها

نلت الذى لم ينله بالقنا احد فاهتف لانورها واحمد نيازيها

مابين آمالك اللائى ظفرت بها وبين مصر معان انت تدريها

ثم كتبت الاهرام فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ مانصه :« لما وصل احد اعلام الشعر عندنا الى ختام قصيدة شوقي التى نشرناها يوم الاحتفال بفتح مجلس المبعوثان جاشت قريحته وقال : لو انصف شاعر الامير لاتم قصيدته بعد قوله يخاطب مجلس المبعوثان

مابين آمالك اللائى ظفرت بها وبين مصر معان انت تدريها

بما اقوله على لسانه ثم تناول القلم قال ، (وقد نشرت الاهرام

الابيات الآتية التي تحققنا انها لصبري) :

يامصر سيري على آثارهم وقفي تلك المواقف في اسنى مجاليها
لا يوئسنك ماقالوا وما كتبوا بين البرية تضليلا وتموبها
ان يمنعوا الناس من قول فما منعوا ان ينطق الحق بالشكوى ويبديها
الحق اكبر من ان تستبد به يد وان طال في بطل تماديها
ماضيع الله ظلما امة نهجت الى المفاخر نهجا وهو هاديها
فقلدوا الامة الكبرى وقد ركبت متن المخاطر وكان الجد حاديها
تماسكت وهي شتى فهي واحدة في القصد حين رأت كثر اعاديها
يا آية الفخر هلا تنزلين كما نزلت ثم على مصر واهليها
كيما نجر ذيولا منك جررها من قبلنا الترك في اوطانهم تيها
ياعابدين لانت اليوم مصدرها وفي ذراك باذن الله موحيها

وقد يكون هذا الحب حثا لقومه على الاقتداء بامة من الامم الكبيرة في الاعصر الغابرة ، وهل هناك مثل اقرب الينا واكبر شأنا من امة الفراعنة التي كان يخاطبها فرعون بقوله :

لا القوم قومي ولا الاعوان اعواني اذا ونى يوم تحصيل العلا واني
ولست ان لم تؤيدني فراعنة منكم بفرعون عالي العرش والشان
ولست جبار ذا الوادي اذا سلمت جباله تلك من غارات اعواني
لا تقربوا النيل ان لم تعملوا عملا فماؤه العذب لم يخلق لكسلان

ولهذه القصيدة تاريخ لايعرفه الا القليلون ، ويجدر بنا ان نذكره هنا فان خطر الموضوع لايخفى على احـد . كان الاستاذ خليل مطران بعث بقصيدة دالية الى محمد بك مسعود بالمؤيد من سقاره على اثر زيارته لاهرامها ، جاء في هذه القصيدة عن فرعون

شاد فاعلى وبني فوطدا لا للعلى ولا له بل للعدا
مستعبدا أمته في يومـه مستعبدا بنيه للعادي غدا

وجاء فيها عن العمال المصريين الذين بنوا الاهرام :

انى ارى عد الرمال هينا خـلائقا تكثر ان تعددا
مجتمعين ابحرا منفرعين انهـ ـرا منحـدرين صعدا
صفر الوجوه ناديا جباههم كالكلأ اليابس يعلوه الندى
اكل هذى الانفس الهلكى غدا تبنى لفان جدثا مخلدا

وقد اطلع صبرى على هذه القصيدة التى تؤيد نظريته بخالف نظريته فنظم نونيته قائلا أن هذه البنايات لم تتم الا على يد عمال كانوا يطلبون الاتقان الفنى اكراما للفن لاخوفا ولا طمعا .
والحقيقه ان صبري راعى في نظريته مايسمونه «بالوجهة التاريخية الوطنية » اما مطران فعمد نظر الى الوجهة العامة التى يؤيدها التاريخ فان بناء الاهرام ما كان الا سخرة ارهقت الملايين من المصريين واثارت السخط فى البلاد مدة قرنين . ونظر ايضا الى

الوجهة الاجتماعية القديمة فان الظلم من شأنه افساد الاخلاق التي لاتحيا الأمم بدونها .

على أن شوقي قد وفق بين النظريتين بطريقة شعرية فلسفية في قوله :

ولمن هياكل قد علا الباني بها ... بين الثريا والثرى تتنسق
هى من بناء الظلم الا انه ... يبيض وجه الظلم منه ويشرق
لم يرهق الامم الملوك بمثلها ... فخرا لهم يبقي وذكرا يعبق

وقد نظم خليل مطران زدا علي قصيدة صبرى نونية أخري لم يسبق نشرها ، وكان ذلك على أثر مشاهدته بعض الآثار ورؤية تمثال محفوظ لرمسيس الثاني في الأقصر . وفى هذه القصيدة عاد مطران الى نظريته الاولى لانه يري ان المجد لايمس وان عظمة مصر باقية سواء كان أصل البنيان الظلم أم غيره وان الفراعنة نهضوا بمصر وان كان اعتقاد الشاعر ان ضررهم كان اكبر من نفعهم في جانب شخصية الامة وتكوينها الحر ، قال مطران :

اكبر برمسيس ميتا لايلم به ... موت وأكبر به حيا الى الآن
لو لا تماثيله الاخري محطمة ... ماجال في ظن فان انه فان
في مصر عز فراعين فما بلغوا ... بها مبالغه من رفعة الشان
ولم يتم لها في غير مدته ... ماتم من فضل اثراء وعمران

تخير الخطة المثلى له ولها   يعلو فتعلو به والخفض للشاني
مازال بالقوم حتى صار بينهم   اله جند تحابيه وكهان
ورب سائمة بلهاء هائمة   تشقى وتهواه في سر واعلان
يسومها كل خسف وهي صابرة   لا صبر عقل ولكن صبر ايمان
ان بات في حجب باءت الى نصب   يلوح منه لها معبودها الجاني
فبجلت تحت تاج الملك مدميها   وقبلت دمها في المرمر القاني
مخلدا دون من قاموا برفعته   من شوس حرب وصناع واعوان
مخالسا ذمة العلياء مضطجعا   من مهد عصمتها في مضجع الزاني
بحيث آب وكل الفخر حصته   ولم يؤب غيره الا بحرمان
كم راح جمع فدى فرد وكم بذلت   في مشترى سيد ارواح عبدان

* * *

كلا وعزته فيما طغى وبغى   وذل من قبل الضيري باذعان
هم الذين على عسر بمطلبه   قد اسعفوه باموال وفتيان
وهم على سفه دانوا بمن نصبوا   نخولوه مدينا حق ديان
فيم الالى صنعوا انصابه درست   رسومهم منذ باتوا ارهن اكفان
وما لاسمائهم دون اسمه دفنت   شعثا منكرة في رمس كتمان
ليت البلاد التي اخلاقها رسبت   يعلو باخلاقها تيار طغيان
النار اسوغ وردا في مجال على   من بارد العيش في افياء فينان

اكرم بذى مطمع في جنب مطمعه
ينجو الاذلاء من خسف وخسران

يهب فيهم كاعصار فينقلهم من خفض عيش الى هيجاء ميدان
بعض الطغاة اذا جلت اساءته فقد يكون به نفع لاوطان
في كل مفخرة تسمو الشعوب بها تفنى جموع مفاداة لأحدان
كم في سني الكوكب الوهاج مهلكة فى كل لمح لاضواء والوان
لم ترق في حقبة مصر كما رقيت فى عصره بين امصار وبلدان
لما رمت كل نائي الشوط ممتنع بسابقين الى الغايات شجعان
الاترى فى بقايا الصرح كيف مضوا باوجه باديات البشر غران
وكيف عادوا ورمسيس مقدمهم الى الربوع باوساق وغلمان

كلا الشاعرين في قصيدته يستنبط عبر التاريخ وينظمها درسا نافعا لامته ، وكلاهما يجيب داعية الوطنية وينتصر للحق والعدل وان اختلفت وجهتا نظرهما وهما متفقان في جوهر الموضوع ، فى الاشادة بذكر عظمة مصر الغابرة وعظمة الفراعنة وتنبيه الخلف الى مجد السلف

* * *

قلنا ان صبرى انفرد بالشعر الغنائي بين معاصريه ونزيد الى ذلك ان الفضل الاكبر في ارتقائه الى هذا المنصب العالى فى

الادب يرجع الى مقاطيعه التى حلق بها فى أعلى سماء ، وتمتاز هذه المقاطيع بالروح التى تكشف عنها لا بالمعانى الغريبة او الجديدة التى لا يفهم بعض الناس الشعر بدونها ، تمتاز بتصوير العاطفة والوجدان تصويرا صادقا لا يشوبه تصنع ، تصويرا يخاطب القلب قبل العقل ويرد الشعر الى نبعه الصافى الأول ، وهل كان الشعر الا شعورا ؟ وهل كانت تقاطيع الاعاريض الا غناء ؟

وقد قال صبري الشعر فتغنى به الناس وكانت اذنه كما قال حافظ «حس نبو الوتر» فارضي بذلك ذوقه وارضى سجيته وارضى الشعر ، وسيبقي شعره خالدا ما بقي في مصر قلب يخفق وشعب يسمو الى العلياء

مختارات

فرعون وقومه

« لاالقوم قومي ولاالاعوان أعواني — اذا وني يوم تحصيل العلا واني
ولست ان لم تؤيدني فراعنة — منكم بفرعون عالى العرش والشان
لاتقربوا النيل ان لم تعملوا عملا — فماؤه العذب لم يخلق لكسلان
ردوا المجرة كدا دون مورده — أو فاطلبوا غيره ريا لظمآن
وابنوا كما بنت الاجيال قبلكمو — لاتتركوا بعدكم فخراً لانسان
أمرتكم فاطيعوا أمر ربكم — لايثن مستمعا عن طاعة ثاني
فالملك أمر وطاعات تسابقه — جنبا لجنب الى غايات احسان
لا تتركوا مستحيلا فى استحالته — حتى يميط لكم عن وجه امكان »

...

مقالة قد هوت من عرش قائلها — على مناكب أبطال وشجعان
مادت لها الارض من ذعر ودان لها — ما فى المقطم من صخر وصوان
لو غير فرعون ألقاها على ملأ — فى غير مصر لعدت حلم يقظان
لكن فرعون ان نادى بها جبلا — لبت حجارته فى قبضة الباني

وآزرته جماهير تسيل بها ... بطاح واد بماضي القوم ملآن
يبنون ماتقف الاجيال حائرة ... امامه بين اعجاب واذعان
من كل مالم يلد فكر ولا فتحت ... على نظائره فى الكون عينان
ويشبهون اذا طاروا الى عمل ... جنا تطير بأمر من سليمان
برائنذى الامر لاخوفا ولا طمعا ... لكنهم خلقوا طلاب اتقان

...

اهرامهم تلك حى الفن متخذا ... من الصخور بروجا فوق كيوان
قد مر دهر عليها وهى ساخرة ... بما يضعضع من صرح وايوان
لم يأخذ الليل منها والنهار سوى ... ماياخذ النمل من أركان ثهلان
كأنها — والعوادى فى جوانبها ... صرعى — بناء شياطين لشيطان
جاءت اليها وفود الأرض قاطبة ... تسعى اشتياقا الى ما خلد الفانى
فصغرت كل موجود ضخامتها ... وغض بنيانها من كل بنيان
وعاد منكر فضل القوم معترفا ... يثنى على القوم فى سر واعلان
تلك الهيا كل فى الامصار شاهدة ... بانهم أهل سبق أهل امعان
وان فرعون فى حول ومقدرة ... وقوم فرعون فى الاقدام كفوءان
اذا أقام عليهم شاهدا حجر ... فى هيكل قامت الاخرى ببرهان
كأنما هى والأقوام خاشعة ... امامها صحف من عالم ثانى
تستقبل العين فى أثنائها صور ... فصيحة الرمز دارت حول جدران
لو أنها أعطيت صوتا لكان له ... صدى يروع صم الانس والجان

...

اين الألى سجلوا فى الصخر سيرتهم ... وصغروا كل ذى ملك وسلطان
بادوا وبادت على آثارهم دول ... وادرجوا طى اخبار واكفان

وخلفوا بعدهم حربا مخلدة في الكون مابين احجار وأزمان
وزحزحوا عن بقايا مجدهم وسطا عليهم العلم ذاك الجاهل الجاني
ويل له هتك الاستار مقتحما جلال أ كرم آثار وأعيان
للجهل أرجح منه في جهالته اذا هما وزنا يوما بميزان

***

وقال يرثي صديقه

المرحوم امين فكري باشا

وهبتك يادهر من تطلب ابعد امين اخ يصحب
طويت المودة في شخصه فاي وداد امرىء اخطب
واي بديل له ارتضي واي شمائله انذب
امين اتئد في النوى وارع لي فبيني وبينك مايوجب
أتذكر اذ انت مني النياط من القلب او انت لي اقرب
واذ نحن هذا لهذا اخ وهذا لذا ابن وهذا أب
ومن قال عنا من الناظر ين نديي جذيمة لايكذب
حسبت بانك لي خالد فكان الذي لم اكن احسب
افي ذا الشباب وهذا الاها ب يموت الفتى الطاهر الطيب
ويودي الذكاء ويقضي الوفا ء وتردى الفضيلة او تعطب
عجيب من الموت افعاله وعتبي على فعله اعجب
بذا حكم الله في خلقه لكل امرىء اجل يكتب

وجدت الحياة طريق المما ت وكل الى حتفه يسرب
ويعثر فيه الفتى بالشبا ب ويدلف بالعلة الاشيب
ويتعب بالزاد فيه الفقير واهل الغنى بالغنى اتعب
ويشقي اخو الجهل في جهله ويحرج بالعالم المذهب
موارد مشروعة للحيا ة فاي مواردها الأعذب
اتعلم عين الردى من تصيـ ب وتدرى يد الموت من تضرب
لما تكامل نور الأميـ ن وتاه به الشرق والمغرب
واوفى المكارم ما املت واعطى الفضائل ما تطلب
ودان له أمل في الحياة وتم له في العلى مارب
طواه الردى علما فانطوى به امل مقبل نرقب
فيا نائيا والهوى ما نأى وذكراه في البال لا تعزب
هنيئا لدار تيممتها لقد زارها الملك الاطيب
وجاورها كوثر من خلا لك حلو مع الخلد مستعذب
تنعمت فيها وخلفتني لدى منزل برقه خلب
وداد الصديق به حول وقلب الصديق به قلب
وصعب على الحر فيه المقا م ولكن هجرانه أصعب
ويا تربة حل فيها الامين لأ نت الفراديس او اخصب
حنت على رحمات الرحيم وجادك رضوانه الصيب

ولا زالت السحب منهلة وانت لاذيالها تسحب
وروتك مني دموع تسيل تخامرها مهج تسكب

« • »

الساعة

كم ساعة المنى مسها وأزعجتني يدها القاسيه
فتشت فيها جاهدا لم أجد هنيهة واحدة صافيه
وكم سقتنى المر اختلها فرحت اشكوها الى التاليه
فاسلمتنى هذه عنوة لساعة أخرى وبي ما بيه
ويحك يامسكين هل تشتكى جارحة الظفر الى ضاريه
حاذر من الساعات ويل لمن يأمن تلك الفئة الطاغيه
وان تجد من بينها ساعة جعبتها من غصص خاليه
فاله بها لهو الحكيم الذى لم ينسه حاضره ماضيه
وامرح كما يمرح ذو نشوة فى قلة من تحتها الهاويه
فهي وان بشت وان داعبت محتالة ختالة عاديه
عناقها خنق وتقبيلها كما تعض الحية الباغيه
هذا هو العيش فقل للذى تجرحه الساعة والثانيه
ياشاكى الساعات أسمع عسى تنجيك منها الساعة القاضيه

« • »

الدواة

يادواة احلى مدادك وردا — لوفود الاقلام حينا فحينا

وليكن كالزمان حالا وحالا — تارة اسنا وأخرى معينا

اكرمي العلم وامنحى خادميه — ماءك الغالى النفيس الثمينا

وابذلى الصافى المطهر منه — لهداة السرائر المرشدينا

واذا الظلم والظلام استعانا — يوم نحس بأجهل الجاهلينا

واستمدا من الشرور مدادا — فاجعليه من قسمه الظالمينا

واقذفى النقطة التى بات فيها — غضب القاهر المذل كمينا

ايراع امرىء اذا خط سطرا — نبذ الحق وارتضى المين دينا

واذا كان فيك نقطة سوء — كونت من خيانة تكوينا

فاجعليها اقسط الذين استباحوا — فى السياسات حرمة الاضعفينا

واذا خفت أن يكون من الصخـ — ـر جلاميد ترجم السامعينا

فابخلى بالمداد بخلا وان اعـ — ـطيت فيه المثين ثم المثينا

فاذا أعوز المداد طبيبا — يصف الداء دائبا مستعينا

فامنحيه المراد منا وعرفا — واستطيبي معونة المحسنينا

واذا مهجة الحمائم أسدت — نقطة سرها الزكى المصونا

فاجعليها على المودات وقفا — وهبيها رسائل الشيقينا

فاذا لم يكن بقلبك الا — ما أعد الاخلاص للمخلصينا

فاجمليه حظى لا كتب منه شرح حالي لسيد المرسلينا

« • »

النزع الاكبر

غاض ماء الحياء من كل وجه فغدا كالح الجوانب قفرا
وتفشى العقوق في الناس حتى كاد رد السلام يحسب برا
أوجه مثلما نثرت على الاجدا ث وردا ان هن أبدين بشرا
وشفاه يقلن اهلا ولوادي ن مافى الحشا لما قلن خيرا
عمرك الله هل سلام وداد ذاك أم حاول المسلم امرا
عميت عن طريقها ام تعامت امم في مفاوز الجهل حيرى
غرها سعدها ومن عادة السعد يواتى يوما ويخذل دهرا
فتجنت على الشعوب وشنت غارة في البلاد من بعد اخرى
نسيت في الصعود يوم التدلى والتدلى بصاعد الجد مغري
تعب الفيلسوف في الناس عصرا وتولى السرائر الدين عصرا
والورى طارد ازاء طريد وعقاب يمسى يطارد صقرا
وجيوش يفل من بعضها البعض وهضب كبرى تناطح صغري
حاذرى ياذئاب صولة اسد منك اقوي نابا وانفد ظفرا
لا تنامى يا اسد ان ذئابا لم تنم من روابض الغيل اضرى
عبر كلها الليالى ولكن اين من يفتح الكتاب ويقرا

انت نعم النذير يانجم « هالى » زلزل السهل والرواسى ذعرا
ظن قوم فيك الظنون وقالوا آية ارسلت الى الارض كبرى
ان يكن فى ءبنك الموت فاقذفه شواظا على الخلائق طرا
هل تلميت من لدن خاذل البا غى وحامى الضعيف يانجم سرا
المحيط بكل شىء ومرد كل حي وتارك السهل وعرا
اغدا لستوى الانوف فلا ينظر قوم قوما على الارض شزرا
اغدا كلنا تراب ولا ملا ث خلاف التراب برا وبحرا
اغدا يصبح الصراع عناقا فى الهيولى ويصبح العبد حرا
ان يكن كل مايقولون فاصدع بالذى قد امرت حييت عشرا

« • »

وقال يهنيء المرحوم السلطان حسين

حينما أسند اليه منصب السلطنة المصرية

اليوم آن لشاكر أن يجهرا بالشكر من نفع العقيرة فى الورى
أن الامارة لم تزل فى أهلها شماء عالية القواعد والذرى
والتاج مقصور عليهم ينتقى منهم كبيرا للعلاء فأكبرا
والعرش إن اخلاه منهم ماجد ذكر الاماجد بينهم وتخيرا
أحسين حبك فى القلوب محقق قد أظهر الاخلاص منه المضمرا
فاحرص عليه فهو ملك آخر ان شئت ما كا جنب ملك أنضرا

والملك آل اليك بحذو خطوة شوقا اليك وان أتى متأخراً
لم يعد فى مافات بابك ناسيا بل وانيا حتى يشب ويكبرا
عزى عن العباس انك عمه وأجل من ساس الامور ودبرا
وازال لوعة كل قلب بعده ان الدواء لما به بك قدرا
ياناظر الماضى وشاكر عهده والحال بين يديه أجمل منظرا
هذى الحقائق باهرات فانتبه لا يلهينك طيف ماض فى الكرى
هذا ابن اسمعيل نجم طالع لهداية السارى فحى على السرى
الملك من يعناه فى يد حازم ان أورد الأقوام وردا اصدرا
والنيل لم يبرح على العهد الذى أخذته قبل عليه ناضرة القرى
متهادنا بين البقاع مناجيا ارجاءها بالخصب يكتنف الثرى
والشرع بين الناس ناه آمر مازال حكم الله فيه موقراً
والبيت بيت محمد قد شاده لبنيه لم يستثن منهم معشرا
والم اكبر حكمة ودراية بالأمر لو ان المكابر فكرا
حال اذا نظر الاديب جمالها شكر الاله وحقه ان يشكرا

الشعر الارتجالى

أبى الجهل الا أن يهز أريكة تقيها يد لله أن تتزعزعا
فما هز الا كل قلب مروع يجاور قلبا فى الروع مروعا
يكاد اذ الانباء رابته مرة يسيل بوادى النيل كالنيل أدمعا

ومن كاد للعباس كيدا فانما يكيد الى مصر وأحبابها معا
ومن يسع فى مصباح نور لامة ير الله حول النور والناس أجمعا

* * *

قصيدة وجهها الى سمو الخديوى عباس يوم عيد جلوسه سنة ١٩٠٨ مهنئا اياه بالعيد وشاكرا له نعمة العفو عن المسجونين في دنشواى . وقد جاراه شوقي بقصيدة مطلعها

اما العتاب فبالأحبة اخلق والحب يصلح بالعتاب ويصدق

وجاراه حافظ بقصيدة مطلعها

سكن الظلام وبات قلبك يخفق وسطا على جنبيك هم مقلق

وقد نشرت مجلة «فتاة الشرق» فى ذلك العهد فصلا لأحد الادباء وازن فيه بين القصائد الثلاث

وهذه قصيدة صبرى :

لو ان اطلال المنازل تنطق	ماارتد حران الجوانح شيق
هل عند ذلك السرب انا بعده	فى الحى من آماقنا نتدفق
اوان اضلعنا على مااستودعت	يوم الفراق من الجوى تتحرق
امنازل الاقمار اهلك اسرفوا	فى النأى اسراف الغنى وباغرقوا
لو انهم قد انصفوك منازلا	ماحازهم فى الكون بعدك مشرق

* * *

عيد الفداء الا سعدت بسدة ... امسى يحيطبها الجلال ويحدق

هلا رأيت بعابدين مع الملا ... ملكا خلائقه تضوع وتعبق

وجمعت من تلك الشمائل طاقة ... تزدان اياما بها وتخلق

ورجعت من نور الامير مزودا ... حتى تعود وانت زاه مشرق

* * *

احرزت ياعباس كل فضيلة ... وبلغت شاوا فى العلا لا يلحق

من ذا يجاري اخمصيك الى مدى ... وهواك سباق وعزمك أسبق

ان ير تجل عرف فانت الى الذى ... لم ير تجله المالكون موفق

سددسهام الرأى بالشوري يحط ... بك منه فى ظلم الحوادث فيلق

واسبق به واضرب به وافتح به ... ماشئت من باب امامك يغلق

عوذت مجدك ان تنام وفي الحمى ... أمل عقيم أو رجاء مخفق

ولرب محل فى النهى متحكم ... قد كاد يخترم النفوس ويوبق

ارسلت فيه نظرة ضمن الحجى ... والعلم نصرتها وقلب مشفق

واخذت رأى أولى النهى مستوثقا ... مستوزرا وكذا الحكيم يدقق

حتى اهتديت الى الصواب ولم يزل ... بين الصواب وبين رأيك موثق

واهبت فابتكر النضار سحائبا ... تهمي وتفتقد المحيل وتغدق

ان امرعت تلك الموات وأورقت ... فيها الرياض فانما لك تورق

* * *

واقلت عثرة قرية حكم الهوى ... في اهلها وقضي قضاء أخرق

ان أن فيها بائس مما به ... وأرن جاوبه هناك مطوق
وارحمتا لجناتهم ماذا جنوا ... وقضاتهم ماعاقهم ان يتقوا
مازال يقذي كل عين مارأوا ... فيها ويؤذى كل سمع مالقوا
حتى حكمت فجاء حكمك آية ... للناس طي صحيفة تتألق
نزلات ترفرف حول كاتب نصها ... زمرا ملائكة الرضي وتحاق
شكرتك مصر علي سلامة بعضها ... شكرا يغرب في الورى ويشرق
ذكرت لك الصفح الجميل ولم تزل ... ترمى الى أمر أجل وترمق
قانون دنشاواى ذاك صحيفة ... تتلى فترتاع القلوب وتخفق
هل يرتجى صفو ويهدأ خاطر ... والموت حول نصوصها يترقرق
ومضاجع القوم النيام أواهل ... بمعذب يردي وآخر يرهق
لن تبلغ الجرحى شفاء كاملا ... مادام جارحها المهند يبرق
فاحكم بغير العنف وكسر سيفه ... فالحلم اجمل والمكارم اليق

* * *

لك مصر ماضيها وحاضرها معا ... ولك الغد المتحتم المتحقق
والله عونك ان ركبت الى العلا ... طرقا تضل بها الهداة وتفرق
والامر أمرك لا يشاب بريبة ... والحكم حكمك والانام مصدق

ياليل الصب

نشرت مجلة « الزهور » ابياتا ارتجلها أمير الشعر شوقي

يعارض فيها الابيات المشهورة التى مطلعها:

يا ليل الصب متى غده ... أقيام الساعة موعده

وهي لأبى الحسن الحصرى الضرير المولود فى القيروان والمتوفى فى الاندلس سنة ٤٨٨ هجريه. فقال المرحوم صبرى باشا من الوزن والروى وهى أبيات نظمت للغناء.

أقريب من دنف غده ... فالليل تمرد أسوده

والتفت تحت عجاجته ... بيض في الحي تؤيده

حرب عندي لمسعرها ... شوق مازلت اردده

هل من راق لصريع هوى ... هل من آس يتعهده

حتى م يساوره كمد ... يبلى الاحشاء تجدده

والى م يصارعه ألم ... ان هم يقوم ويقعده

فى القصر غزال تكبره ... غزلان الرمل وتحسده

صفرت كفى منه ومضي ... وقد امتلأت منى يده

كم صغت التبر له شركا ... وقضيت الليل أنضده

وأشاور شوقى بل أدبي ... هل أقصر أم أتصيده

مولاى أعيذك من ضرم ... لا يرحم قلبا موقده

أدرك بحياتك من رمق ... مابات هواك يهدده

قد بان الحب لذي عينين ... وهذا الشوق يؤكده

« شوقى » جود فى الشعر وقل آمنت بأنك أوحده

* * *

وقال يرثى اسماعيل بك ماهر القاضى بالمحكمة المختلطة بالاسكندرية الذي توفى في صيف سنه ١٩١٠ وكان رفيق صبرى فى المدرسة وعشير صباه :

اماهر كنت فيها من أنسى فمن لى فى الليالى الباقيات
برغمى ان تقلص منك ظل وقانى حقبة لفح الحياة
وان نضبت خلال كنت منها أعب لديك فى عذب فرات
وان صفرت يمينى من وداد غنيت به ليالي خاليات
اخي ماحيلتى الا سلام يزورك فى المساء وفى الغداة

* * *

دمعة على بطرس غالى في ابريل سنة ١٩١٠

لهف الرياسات على راحل قد كان ملء العين والمسمع
لهف العلا قد عطلت من سنا بدر هوي من أوجها الأرفع
تبكي المروءات على بطرس ذاك الهمام الماجد الاروع
فتشت لما لم اجد مقلتى كفؤا عن الفضل ليبكى معى
فقيل لى قد سار فى اثره يوم دفناه ولم يرجع
يامجريا دمع الملا أبحرا ادركهمو يامرقىء الادمع

يانازلا بين وفود البلا آنستهم ياموحش الاربع
عيني فيك اليوم قبطية تروى الاسى عن مسلم موجع
يهيم من وجد ومن لوعة فى الجانب الأيسر من أضلعى
ويحفظ العهد كما شاءه احمد سمحا واسع المشرع
يامن سقانى الجم من وده هذا ودادى كله فا كرع
ياحامل القلب الكبير الذى لم ينقض الميثاق قم واسمع

* * *

حرب طرابلس

بعض هذا الجفاء والعدوان راقبي الله امة الطليان
قد ملأت الفضاء غدرا وجهلا وتسنمت غارب الطغيان
وبعثت السفين ترمى طرابلس بحرب مشبوبة النيران
تخرق البحر والمواثيق والعهد جهارا وذمة الجيران
سيرتها اضغان قوم لقوم سلموا من دناءة الاضغان
من رآها تجرى توهم ان القوم هبوا للثأر للاوطان
لاورب الاسطول ماحمل الا سطول جيشا الى حمى الحبشان
ان قوم الطليان احرص من ان يفضحوا مرتين فى ميدان
ليست الحرب للعدو الذي با ت عزيزا بالرجل والفرسان
انما الحرب للأولى حفظوا العهد فنامت جيرانهم فى أمان

وأباحوا ابوابهم حاتميات … لمن امهم من الضيفان
وانا لوهمو حقـوق بنيهم … فعل أهـل المعروف باللهفان
ويحهم مالصنعهم ابطر القو … م فعقوا ما كان من احسان
ولماذا تخفض السلم عن حرب … لظاها يشوى الوجوه عوانى
منح قـد بذرن في شرايد … كن مذ كن منبت الـكفران
هكذا فلتك المروءات فى عصـ … ـر البهاليل من بنى الرومان
لايثق بعضنا ببعض وهـذا … ماعـد الانسان الانسان
ان تسلم على القريب فسلم … فى ظـلال السيوف والمران
ربما اصبح العناق صراعا … في زمان الآداب والعرفان

* * *

قصيـــــدة

القيت فى ٤ يونيو سـنة ١٩١٤ فى فندق (شبرد) فى حفلة تكريم (حضرة واصف بك بطرس عالى) لما قام به من ترجمة الشـعر العربى الى اللغة الفرنسـية ترجمة صادقة الـكتاب دعاه (روض الازهار)

وكانت حفـلة التـكريم تحت رعاية حضرة صاحب السمو الخديوى السـابق عباس الثانى وأناب عنـه فى الحضور رئيس الديوان العـالى الملـكي صاحب السعادة عثمان باشا مرتضى .

وكانت الحفلة برئاسة الفقيد اسماعيل باشا صبرى بصفته رئيساً لزعماء الأدب

أى صوت حيته بالامـ س بباريس مقر العلوم والعلماء
من ترى ذلك الذى جملته حكمة الشيب فى ربيع الفتاء
ذلك الاسم الذى بهر البيـ ض مطلا من منبر الخطباء
وأماط اللثام عن أدب العر ب كرام الآباء والابناء
بلسان ما اعتاد من قبل أن يخـ ضع الا لأهله من اباء

***

ياسجل الخلود افسح مجالا لاسمه فى صحيفة الفضلاء
وأر الاعصر الاواتى ان الـ ذكر عمر محجل الاناء
ذاك صوت ابن بطرس قد عر فناه بما هاجه من الاصداء
ألق بالسمع تستخففك منه نغمة لم تكن لغير الوفاء
ذاك نجم أطلعته يامصـــر فقرى بنجمك الوضاء
واحليه حيث تفتقد البد ر عيون السراة فى الظلماء
كم له دون بيضة الشرق من غضبة حر وكم له من بلاء
كم له من مواقف هز عطف الـ حق فيها بالحجة البيضاء

* * *

ايه يا ابن الامجاد قمت باعبا ء كبار والمجد ذو أعباء

وأريت الانام بر ذوى القر　　بى ورأى الكريم فى الكرماء
فاستمع مايقال حولك ياواصـ　　ف ذا اليوم من ضروب الثناء
ان من طيب الثناء لزهرا　　تجتنيه مسامع الاكفاء

وقال يرثي اسماعيل بك نجيب نجل صديقه
المرحوم ابراهيم باشا نجيب

الا يا تجار العصر هل فيكم امرؤ　　يبيع على صرعى الهموم عزاء
اذا دلنى منكم على مثله فتى　　خلعت عليه مايشاء جزاء
ففي الحي قوم عاكفون على لظي　　تذيبهم البلوى صباح مساء
تخالهم الرائي سكارى من الاسى　　فيبكى عليهم رحمة ووفاء
لوان قلوب الناس طوع ارادتي　　قلبت الاسى فى بعضهن هناء
ولو طاوعتنى كل عين قريحة　　لما ذاب بعض التاكلين بكاء
وعالجت ابراهيم مما اصابه　　وداهمه حتى ينال شفاء
مصابك اسماعيل زعزع شامخا　　وضعضع طودا راسيا وأساء
واودى بآمال كبار تصرمت　　برغم ذويك البائسين هباء
على قبرك المطور منى تحية　　فقد ضم غصنا ناضرا وفتاء

* * *

بين الجد والفكاهة

استقالت وزارة مصطفى فهمى فى ١١ نوفبر سنة ١٩٠٨ :

وتألفت فى اليوم التالى وزارة بطرس غالى وأعضاؤهـا سعد بالمعارف ، ورشدى بالحقانيه ، وسعيد بالداخليه ، وسرى بالاشغال والحربية والبحرية ، وحشمت بالماليـة بدلا من فخرى . وعين خليل باشا حماد وزيرا للاوقاف . وقد نشر اسماعيل باشا صبري على اثر ذلك بامضاء بنتاؤور مقطوعات كثيرة رسم فيها صورة لكل وزير قديم أو جديد ونشرتها جريدة الاهرام فى ايام مختلفة وانا نختار منها مايأتي

وكلة الداخلية

ماهر السلطة فى مصر لهـا صور تسبي البرايا زاهـيه
فاز بالاولى سعيد اذ جرى وتباطأت فخرت التاليه
لو تسرعت ووسعت الخطى نلت اولاهـا ونال الثانيـه

النيابة العمومية

قد ألفت عصب اللصوص محاكما فى كل قسم
ورموك « ثروت » بالنباهـة كلها وبكل علم
والعلم في الحكام عند الجاهلين اجل جرم
فاحذرهم ان سرت فيهم ، سيرة اليقظ الاثيم
عوفيت من قوم اذا قدروا خلوا من كل حلم

في جوف الحيتان

اين صبرى من يذكر اليوم صبري   بعد اعوام عزله وشهوره
اسألوا الشعر فهو اعلم هلا   اكلته الاسماك طى بحوره

فى المعاش

قلت ياصالح اتق دا   ولك في جملة الدلا
قال دعنى كما اشا   احكم اليوم فى الملا

ارتين باشا

الا فاعذرونى ان قنعت من الورى   بما حزت من فخر وما نلتُ من رتب
فما عن قلى فارقت سعدا وانما   تفرغت بين الناس للعلم والادب

شكور باشا

اين شكور هل العليا   في جب نفته
اكلته البيرة اليوم   ترى أم شربته

سابا باشا

اين سـ ـبا اين سابا ياترى   اين سابا ذو المزايا الباهره
قال لى قوم ثقات انهم   لمحوه في مياه القاهره

اسكندر باشا فهمى

اصلب انت قال لى حار أمرى   اذافكرت فيك وضاع حدسى
خرجت من الشريط ولم تهشم   كانك خارج من بيت عرس

الى الامير عمر باشا طوسن

بمناسبة اعانته جرحي الحرب البلقانيه

لك الامارة والاقوام مابرحت بكل عالي الذرى في الكون تأتمر

لو لم ترثها لما ألقت اعنتها الا اليك خلال كلها غرر

يابن الاولى لو اطلوا من مضاجعهم يوما عليك لقالوا : ايه ياعمر

اعدت ايامهم في مصر ثانيـة حتى توهم قوم انهم نشروا

وسرت سيرتهم حتى كأنهم اذا خطرت بارض مرة خطروا

لله درك كم نبهت من همم تثني علي أهلها الآصال والبكر

وكم تعهدت جرحى من أسود وغى

ان يكشر الدهر عن احداثه كشروا

مستنجدا من بني مصر الى شمم اذا رأوا ثلمة في حوضهم جبروا

مستهميا هاميا والنيل في وجل من ان تجود به ايمانكم حذر

حتى تفاهمت الارواح وادكرت ما بينها الاهل والخلان والاسر

وآذن البر بالسقيا وما فتئت منهم ومنك صنوف البر تنتظر

وحركت كل كف بالندى يقة حتى تعجبت الانهار والغدر

والناس ان قام يستسقي الكريم لهم

سحائب الفضل بشرهم فقد مطروا

يأبى علاء سعيد ان يشابهه الا ابن دوحته ان قام يفتخر

ماوال يحمده ز ثيت مدكرا والاصل بالفرع إنحا كاه يدكر

ذ كر الشباب

تمسي تذكرنا الشباب وعهده حسناء مرهفة القوام فنذكر
هيفاء أسكرها الجمال وبعض ما اوفى على قدر الكفاية يسكر
تثب القلوب الى الرؤوس اذا بدت
وتطل من حدق العيون وتنظر
وتبيت تكفر بنحور قلائد فاذا دنت من نحرها تستغفر
وتزيد فى ثمن اللآلئ قيمة حتى يسود كبيرهن الأصغر

ساعة الوداع

اترى . نت خذلي ساعة التو ديع بالقلب فى غد أم نصيري
ويك . قل لى متى اراك بجنبي راضيا عن مكانك المهجور
ساعة البين قسمة انت قدت للمحبين من عذاب السعير
لاتحيني روحي الفداء ذحيلت غدا فى صحيفة المقدور

عيد بلا ثمن

يامن ده قؤ دى اذ تمالكه
ما بى نارين من شوق ومن شجن
تفسيات أعين دره حورات ازدحمت
عطشي الى نهلة من وجهك الحسن

جردت كل مليح من ملاحته ... لم تتق الله فى ظبى ولا غصن
فاستبق للبدر بين الشهب رتبته ... تملكه فى أوجه عبدا بلا ثمن

* * *

وقال رحمه الله حين بعث شوقى بك الى الكاتب الكبير الاستاذ داود بركات رئيس تحرير الاهرام بيتين وطلب اليه عرضهما على الفقيد ليبدى رأيه فيهما . فلما عرضهما عليه جادت قريحته بثلاثة أبيات فى معنى بيتى شوقى بك ثم بتحية منه .

بيتا شوقي بك

ياساري البرق يرمى عن جوانحنا ... بعد الهدوء ويرمى عن مآقينا
ترقرق الماء فى دمع السماء دما
غاض الأسى فخضبنا الارض باكينا

* * *

جواب صبري باشا

ياوامض البرق كم نبهت من شجن ... فى اضلع ذهلت عن دائها حينا
فالماء فى مقل والنار فى مهج ... قد حار بينهما امر المحبينا
لولا تذكر ايام انا سلفت ... مابات يبكي دما في الحي باكينا
ياآل ودى عودوا لاعدمتكم ... وشاهدوا ويحكم فعل النوي فينا
يانسمة ضمخت اذيالها سحرا ... ازهار اندلس هبي بوادينا

بين صبري والشريف الرضي سمع بيتي الشريف الرضي وهما ·

أرى بعد ورد الماء في القلب غله　　اليك على أني من الماء ناقع
واني لأقوى ما اكون طماعة　　اذا كذبت فيك المنى والمطامع

فقال رحمه الله مجاراة له :

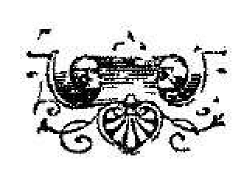
ياموردا كنت اغنى ما اكون به　　عن كل صاف اذا ماناتٍ يرويني
عندي لمائك والاقداح طوع يدى
ملاى من الماء شوق كاد يرديني

***

اقصر فؤادي فما الذكرى بنافعة　　ولا بشافعة في ردما كانا
سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا　　حمل الصبابة فاخفق وحدك الآنا
هلا اخذت لهذا اليوم اهبته　　من قبل ان تصبح الاشواق اشجانا
لهفي عليك قضيت العمر مقتحما　　في الوصل نارا وفي الهجران نيرانا

وكتب على صورة (انور) ابن سليم سركيس

هذا شبابك ياسليم تزينه　　تلك الخلال الغر والاخلاق
حاكاك انور مثلما حاكيته　　فيما مضى فتبارك الخلاق
انت الذى علمته نقل الخطى　　وأريته أن الحياة سباق



ذيـــــل

ننشر في هذا الباب ماوصل الى يدنا من مراثي الشعراء والادباء

العوامل الشعرية في نظم صبري باشا

كلمة الأستاذ انطون الجميل افندي

قال بعد التمهيد

١

لكل أديب بوجه عام ، ولكل شاعر بوجه خاص ، فكرة أساسية تتجلى فى كل ما تولده قريحته، فهى كالمركز المغنطيسي تتجه اليها سائر أفكاره، أو كمركز الدائرة تتشعب منها جميع الاشعة . وهذا مااسميه العامل الشعرى فى مانظمه اسماعيل صبري

فاذا راجعتم منظوماته — وكل منكم يروى منها الشيء الكثير — تجدون فيها فكرات ثلاثا كانت العلة الموجدة لها ، وهى : الحس أو الشعور — والحكمة — والحماسة

تجلت الفكرة الاولى فى مانظمه فى الحب . والثانية فى مانظمه فى الموت . والثالثة فى مانظمه فى الوطن

الحب . والموت . والوطن : هذه هى العوامل الثلاثة التي كانت تحرك فيه الشعور الفياض ، وتنطقه بالحكمة الرائعة، وتثير في صدره الحماسة الشريفة

الحب هو أقوى العواطف وأقربها الى القلوب ، بل يقول الفلاسفة

أنه أساس كل عاطفة حتى البغض . لان بغضك الشيء هو حبك نقيضه .
ولقد كانت هذه العاطفة العامل الاكبر فى شاعرية هذا الشاعر الفذ، فاوحت اليه بالابيات الخالدة التى سوف يتمثل بها الناس ، لانها كانت فى صدره عاطفة قوية راسخة خالصة من كل الشوائب ، بل كانت شاملة لكل ما تنطوى عليه من المعانى الكثيرة من المحبة الى الوداد الى الاخلاص الى الوفاء

كانت تلك العاطفة غراما شريفا فى قوله .

ياشوق رفقا باضلاع عصفت بها   فالقلب يخفق ذعرا فى حناياها

وكانت تمثل الذكريات العذبة في قوله .

تمسي تذكرنا الشباب وعهده   هيفاء مرهفة القوام فنذكر
تثب القلوب الى الرؤوس اذا بدت   وتطل من حدق العيون وتنظر

كما كانت الذكرى المؤلمة حين يقول .

إقصر فؤادى فما الذكرى بنافعة   ولا بشافعة فى رد ما كانا
سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا   حمل الصبابة فاخفق وحدك الانا

وكانت تذكيرا وعتابا ، وهو ابلغ من ذكر فتذكر .

هل عند ذاك السرب أنا بعده   فى الحى من اماقنا نتدفق
أو ان أضلعنا على ما استودعت   يوم الفراق من الجوى تتدفق

وكانت ودادا خالصا يوم قال .

يامن سقانى الجم من وده   هذا ودادى كله فاجرع

وكانت الوفاء كل الوفاء فى هذين البيتين المشهورين .

اذا خانني خل قديم وعقني   وفوقت يوما فى مقاتله سهمى
تعرض طيف الود بيني وبينه   فكسر سهمى فانثنيت ولم ارم

وفي هذين البيتين رواية تمثيلية ذات خمسة فصول . الفصل الاول

الصداقة ، والثانى الخيانة والعقوق « اذا خانني خل قديم وعقنى » والفصل الثالث النهوض للانتقام « وفوقت يوما فى مقاتله سهمى » والفصل الرابع النزاع بين الصداقة والانتقام « تعرض طيف الود بينى وبينه » والفصل الخامس انتصار الوداد « فكسر سهمى فانثنيت ولم أرم »

وهو فى كل مظاهر هذه العاطفة يعبر عن شعور حى ووجدان صحيح لا كلفة فيه ولا تصنع حتى لتتغلغل ذرات معانيه ودقائق افكاره فى ذرات قلبك ودقائق فكرك فتمتزج بنفسك فاذا بك وقد أصبحت وامسيت وأنت تردد هذه الاشعار ، وقد نسيت الشاعر ، لانها تمثل حالة من حالاتك النفسية

أما العامل الثانى في شعر صبرى بعد الحب فهو الموت. قال لاروشفوكو. « شيئان لا يستطيع الانسان ان يحدق اليهما ببصره . الشمس والموت » أما صبرى باشا فقد حدق الى الموت مرارا فنظم فيه كثيرا واستوحاه الحكمة الرائعة حتى انى لا أعرف شاعرا عصريا نظم في هذا الموضوع أكثر من الفقيد حدق الى الموت بكلتا عينيه فكان تارة ينظر اليه قلقا وجلا فيقول .

اتزودت من ضياء البدور لليال كثيفة الديجور

وتارة ينظر اليه مرحبا مطمئنا فيقول ·

يا موت خذ ما ابقت الا الايام والساعات منى

بينى وبينك خطوة ان تخطها فرجت عني

أو ينشد والحكمة تطل من كل شطر .

لا تخف فالممات ليس بماح منك الا ما تشتكى من عذاب

وحياة المرء اغتراب فان ما ت فقد عاد سالما للتراب

ولقد رسمت هذه العاطفة المزدوجة تلك الابتسامة الحزينة على محياه حتى تخالها زفرة وقفت عند شفتيه ودمعة جمدت في عينيه

أما العامل الثالث فهو الحماسة وقد تجلت فيما نظمه في مصر وعرش مصر ورجال مصر ومفاخر مصر

مستنجدا من بني مصر اولى شمم   اذا رأوا ثلمة في حوضهم جبروا

كان يغار على وحدة هذا الوطن العزيز ، وينادى بتكاتف أبنائه لا فرق فى العقيدة والمذهب ، وله من هذا القبيل الابيات الشائقة أذكرمنها هذين البيتين من قصيدة رثى بها عظيما من عظماء الاقباط .

عيني فيك اليوم قبطيـة   تروى الاسى عن مسلم موجع

ويأخذ البر وآي الوفا   عن الكتاب الطيب المشرع

أما قصيدة «فرعون وقومه» فجديرة بان تدرس فى جميع المدارس . فقد وصفت آثار مصر ومفاخر المصريين وصفا تتمشى العظمة في جميع اجزائه ولا يتمالك من يقراها عن هزة اعجاب تدفعه الى السير على آثار الاجداد فى تطلاب العلى

أيها السادة

اذا كان قول الفرنجة « ان الانشاء هو الرجل» صحيحا فان القول « ان الشعر هو الشاعر » أصح

نشر سعادة عثمان مرتضي باشا كلمة عن الفقيد استوقفتني فيها هذه الجملة : «كان من أهم مميزاته ثلاث . حبه للحق ، وحبه للصراحة ،وحبه للكرامة »

استوقفتني هذه الجملة لانى وجدت في هذه الميزات الثلاث ، العوامل الشعرية الثلاثة التي ذكرتها . فكان صبرى الرجل كصبري الشاعر

امتاز الرجل فى حياته بحب الصراحة كما امتاز الشاعر فى شعره بالشعور . وهل الصراحة غير النطق عن شعور ؟ فنظم فى الحب ، والحب أصدق عاطفة

وامتاز الرجل بحب الحق كما امتاز الشاعر بالحكمة ـ وهل الحكمة غير حب الحقيقة ؟ ـ فنظم في الموت ، والموت ابلغ حقيقة

وامتاز الرجل بحب الكرامة كما امتاز بالحماسة . والرجل الابي يغار على كرامته . فنظم في الوطن ، والوطن اشرف ما يتحمس له المرء اذا غار على كرامته .

هذه العوامل الثلاثة التي انطقته بالشعر . وهي اذا رسخ عامل واحد منها في صدر الانسان صيره شاعرا فكيف اذا اجتمعت الثلاثة لواحد

ـ ٢ ـ

أما اثر تلك العوامل في شعره فكان الاثر الطيب فانها اكسبته من روعة المعاني ورقه العواطف جمالا زاد سناءه حسن الديباجة وفصاحة اللفظ فكانت السلاسة والعذوبة والانسجام وسلامة الذوق من العوامل اللفظية في مانظمه من القصائد التي يتناشدها ادباء مصر ولبنان والشام والعراق وفي ماوضعه من الاغاني التي يتغنى بهـا الشعب في مجالس الانس والطرب

ماذا أقول في شعر صبري وقد قال قبلي غير واحد . قرظه المعجبون به ـ وكثيرا ماهم ـ بكل كلام مليح . فكنا نجد كل تقريظ ينطبق عليه ولم نجد تقريظا يفوق مقامه . فشعر صبري اشبه شيء بالنقد الذهبي يحفظ قيمته في كل زمان ومكان اذا ما كان سائر الشعر ، كسائر النقد ، عرضة للرواج حينا وللكساد حينا

ذلك ان صبري ، كامرىء القيس ، لم يقل الشعر راغبا ولا راهبا . وانما كان يقوله عن عاطفة تختلج في صدره كقطرة الندى فيصوغها باللفظ كاللؤلؤة الصافية

كانت القوافي تجول في خاطره فتصغي اذنه لحفيفها فيوقع نغمها ايقاعا

شاقا

لم يكن مزهره كثير الاوتار ، بل كان يضرب على وترين أو ثلاثة، كما رأينا ، فيستخرج منها نغما شجيا بعيد القرار ، يصدر من خفقة فؤاد ، فينتقل متماوجا حتى يستقر في ثنايا الفؤاد ، كالموجة تقذف بها لجة البحر وتتكسر متلاشية على ساحل البحر

واذا ما ذكر اليوم اسم صبري في عالم الادب وجدناه ـ كالشمس التي تترك وراءها شفقا ذهبيا ـ تاركا اشعة من رواء المعنى وصفاء المبنى . ولكن نوره لا يبهرك ولا يؤذي عينيك بل يهبط عليك على مهل فيشملك بهالة من اللمعان . لذلك لا نجد في شعره ماقد نجده في شعر غيره من التعب والعناء لانه ماتكلف نظم الشعر بل كان كلما هزته عاطفة يجود بمقطوعة ربما لاتتجاوز البيتين ، كالشجرة الناضجة الثمر تسقط ثمرة كلما هزها الهواء

الماسة الصافية الماء ، الطاهرة اللألاء السليمة من كل كدرة وعيب ، ينسينا جمالها عناء من قطعها وصقلها . وكذلك شعر صبري . نقف عند جماله ناسين الشاعر وما لقي من عناء في تصفية شعره وتخليص نظمه من كل شائبة

تلك الاشعار السهلة كان يصوغها بصعوبة فكان جهاده الشعري طويلا شاقا ، وهو يجد قوته في تجديد مجهوده . كان يستحث فنه دائما للاستزادة من الاتقان وجمال الفن . وهذا سر عظمة المفتن : فانه يدرك المجد والرفعة، ويفوز برضى الناس ولكنه لا ينعم برضى نفسه ، ولا يفوز بارتياح خاطره. كان الجميع يرضون عن شعر صبري الاصبري . فكان لا يزال يحور ويغير ، ويقدم ويؤخر ، وهو متعطش الى مثل أعلى لم يدركه حتى كانه

يقول : « أن اجمل شعرى لا يزال فى صدرى ، لم اتمكن من نظمه حتى الآن »

هكذا عرفته حتى كانت الحرب الكبرى فانزلت حجابا كثيفا على تلك القريحة اللامعة ولا عجب ففرقعة السلاح تسكت همهمة القوافى ودوى المدافع يغلب روى الشعر

ثم ادركته الشيخوخة على تلك الحالة فانقطع عن النظم ولكن مجلسه ظل مجلس ادب وعلم ، وما لقيناه مرة الا سالنا : (هل من شعر جديد في البلد ؟) وهكذا كبار القواد متى احيلوا الى الاستيداع يرتاحون الى احاديث المواقع التى يضع غيرهم خططها و نظامها

أما الآن وقد انطفأ فيه نور الحياة فقد انطفأ ولا شك سراج وهاج فى هيكل الشعر وغاب كوكب ساطع من سماء الادب

واذا ماذ كرنا اليوم أدبه وعبقريته واستمطرنا الرحمات عليه ، فجدير بنا أن نتلو على قبره تلك الصلاة الجميلة التي نظمها فى حياته . فان فى وسع كل مخلوق أيا كان دينه ان يناجى بها خالقه :

يارب ؟ اين ترى تقام جهنم	للظالمين غدا وللاشرار
لم يبق عفوك فى السموات العلى	والارض شبرا خاليا للنار
يارب : اهلني لفضلك واكفني	شطط العقول وفتنة الافكار
ومر الوجود يشف عنك ، لكى أرى	غضب اللطيف ورحمة الجبار
ياعالم الاسرار ، حسبي محنة	علمى بانك عالم الاسرار
أخلق برحمتك التي تسع الوري	الا تضيق باعظم الاوزار

ننشر القصائد الآتية بحسب ترتيب القائها:

قصيدة شوقي

أجل وان طال الزمان موافي ... أخلى يديك من الخليل الوافي
داع الى حق أهاب بخاشع ... لبس النذير على هدى وعفاف
ذهب الشباب فلم يكن رزئي به ... دون المصاب بصفوة الألاف
جلل من الأرزاء في أمثاله ... همم العزاء قليلة الاسعاف
خفت له العبرات وهي أبية ... في حادثات الدهر غير خفاف
ولكل ما أتلفت من مستكرم ... الا مودات الرجال تلافي
ما أنت يا دنيا أرؤيا نائم ... م ليل عرس أم بساط سلاف
نعماؤك الريحان الا أنه ... مست حواشيه نقيع زعاف
مازلت أصحب فيك خلقاً ثابتاً ... حتى ظفرت بخلقك المتنافي

***

ذهب الذبيح السمح مثل سميه ... طهر المكفن طيب الالفاف
كم بات يذبح صدره لشكاته ... أتراه تحسبها من الاضياف
نزلت على سحر السماح ونحره ... وتقلبت فى أكرم الاكناف
لجت على الصدر الرحيب وبرحت ... بالكاظم الغيظ الصفوح العافي
ما كان أقسى قلبها من علة ... علقت بأرحم حبة وشغاف
قلب لو انتظم القلوب حنانه ... لم يبق قاس في الجوانح جافي
حتى رماه بالمنية فانجلت ... من يبتلى بقضائه ويعافي
أخنت على الفلك المدار فلم يدر ... وعلى العباب فقر في الرجاف
ومضت بنار العبقرية لم تدع ... غير الرماد ودارسات أثافي

حملوا على الأكتاف نور جلالة ... يذر العيون حواسد الأكتاف
وتقلدوا النعش الكريم يتيمة ... ولكم نعوش في الرقاب زياف
متمايل الاعواد مما مس من ... كرم ومما ضم من أعطافه
واذا جلال الموت واف سابغ ... واذا جلال العبقرية ضافي
ويح الشباب وقد تخطر بينهم ... هل متعوا بتمسح وطواف
لو عاش قدوتهم ورب «لوائهم» ... نكس «اللواء» لثابت وقاف
فلكم سقاه الود حين وداده ... جرب لأهل الحكم والاشراف
لا يوم للاقوام حتى ينهضوا ... بقوادم من أمسهم وخوافي

∴

لا يعجبنك ماترى من قبة ... ضربوا على موتاهمو وطراف
هجموا على الحق المبين بباطل ... وعلى سبيل القصد بالاسراف
يبنون دار الله كيف بدا لهم ... غرفات مثر أو سقيفة عافي
ويزورون قبورهم كقصورهم ... والارض تضحك والرفات السافي

∴

فجعت ربى الوادي بواحد أيكها ... وتجرعت ثكل الغدير الصافي
فقدت بنانا كالربيع مجيدة ... وشي الرياض وصنعة الافواف (١)
ان فاته نسب «الرضي» فربما ... جريا لغاية سؤدد وطراف
أو كان دون «أبي الرضي» أبوة ... فلقد أعاديبان «عبد مناف»
شرف العصاميين صنع نفوسهم ... من ذا يقيس بهم بني الاشراف
قل للمشير الى أبيه وجده ... أعلمت للقمرين من أسلاف

(١) الافواف . الحرير

لوان عمرانا(١) نجارك لم تسد حتى يشار اليك فى الاعراف (٢)

∴

قاضى القضاة جرت عليه قضية للموت ليس لها من استئناف
ومصرف الاحكام موكول الى حكم المنية ما له من كافي
ومنادم الاملاك تحت قبابهم أمسى تنادمه ذئاب فيافي
فى منزل دارب على الصيد العلا فيه الرحى ومشت على الارداف (٣)
وأذيل من حسن الوجوه وعزها ما كان يعبد من وراء سجاف
من كل لماح النعيم تقلبت ديباجتاه على بلى وجفاف
وترى الجماجم فى التراب تماثلت بعد العقول تماثل الاصداف
وترى العيون القاتلات بنظرة منهوبة الاجفان والاسياف
وتراع من ضحك الثغور وطالما فتنت بحلو تبسم وهتاف
غزت القرون الذاهبين غزالة دمهم بذمة قرنها الرعاف .
يجري القضاء بها ويجرى الدهر عن يدها فيا لثلاثة أحلاف
ترمي البرية بالحبول وتارة بحبائل من خيطها وكفاف
نسجت ثلاث عمائم (٤) واستحدثت
أكفان موتى من ثياب زفاف

∴

« أأبا الحسين » تحية لتراك من روح وريحان وعذب نطاف

(١) عمران . أبو موسى عليه السلام (٢) الاعراف . الصورة الشريفة
(٣) الارداف . ندماء الملك (٤) ثلاث عمائم . الشعر الاسود ، والاسود فيه شيب ، والابيض

وسلام أهل وله وصحابة حسرى على تلك الخلال لهاف

هل فى يدى سوى قريض خالد أزجيه بين يديك للاتحاف

ماكان أكرمه عليك فهل ترى أنى بعثت بأكرم الالطاف

هذا هو الريحان الا أنه نفحات تلك الروضة المئناف

والدر الا أن مهد يتيمه بالامس لجة بحرك القذاف

أيام أمرح فى غبارك ناشئاً

نهج المهار (١) على غبار «خصاف» (٢)

أتعلم الغايات كيف ترام فى مضمار فضل أو مجال قواف

∴

ياراكب الحدباء خل زمامها ليس السبيل على الدليل بخاف

دان المطي الناس غير مطية للحق لاعجلى ولاميجاف (٣)

لافي الجياد ولا النياق وانما خلقت بغير حوافر وخفاف

تنتاب بالركبان منزل الهدى وتؤم دار الحق والانصاف

قد بلغت رب المدائن (٤) وانتهت

حيث انتهيت بصاحب الاحقاف (٥)

نم ملء جفنك فالغدو غوافل عما يروعك والعشى غوافي

فى مضجع يكفيك من حسناته أن ليس جنبك عنه بانتجافي

واضحك من الاقدار غير معجز فاليوم لست لها من الاهداف

(١) المهار . جمع مهر (٢) خصاف . فرس مشهور في العرب

(٣) ميجاف . الناقة السريعة (٤) رب المدائن . كسرى

(٥) صاحب الاحقاف : عاد

والموت كنت تخافه بك ظافراً   حتى ظفرت به فدعه كفاف
قل لي بسابقة الوداد أقاتل   هو حين ينزل بالفتى أم شافي
في الارض من أبويك كنز ارحمة   وهوى وذلك من جوار كافي
وبها شبابك واللدات بكيته   وبكيتهم بالمدمع الذراف
فاذهب كصباح السماء كلا كما   مال النهار به وليس بطافي
الشمس تخلف بالنجوم وأنت بالآثار والاخبار والاوصاف
غلب الحياة فتى يسد مكانها   بالذكر فهو لنا بديل وافي

***

قصيدة مطران

شهب تبين فما تؤوب   فكأنهن حبب يذوب
أرأيت فى كأس الطلى   درراً وقد صعدت تصوب
هو ذالك في لج الدجى   طفو الدراريء والرسوب
لا فرق بين كبيرها   وصغيرها فيما ينوب
كل الى اجل وعقبي   كل طالعة وقوب

***

اليوم نجم من نجوم   الشعر أدركه الغروب
وثبت به في أوجه   الاسنى فغالته شعوب
لقي الحقيقة شاعر   ما غره الوهم الكذوب
أوفى على عدن وما   هو عن محاسنها غريب
كم بات يشهدها وقد   شفت له عنها الغيوب

***

يخطب اسماعيل صبري   ليس تبلغك الخطوب

جزع الحمى لنعيه وبكاه شبان وشيب
واجتاز بحرا من دموع الخلق مشهده الرهيب
أي صاحبي لقد قضى أستاذنا البر الحبيب
فعرا قلادتنا : — وكانت زينة الدنيا — شحوب
اني لأ ذكر والاسى بين الضلوع له شبوب
عهداً به ضمت فؤاداً واحدا منا الجنوب
اذ بعضنا من غير ما نسب الى بعض نسيب
وبغير قربى بيننا كل الى كل قريب
الشعر الفنا فما اختلف العريق ولا الجنيب
والفن يأبى ان تفرقه المواطن والشعوب
مستشرف لا السلم طلاع اليه ولا الحروب
يضفى به الضوء الهلال ويبسط الظل الصليب
لو دام ذاك العهد..لكن هل ليوم رضى عقيب

***

يامصر قام العذر ان يقلق مضاجعك الوجيب
وعلى فقيد كالذي تبكين فليكن النحيب
مات الأديب وانه فى كل معنى للأديب
مات المحامي عن ذمارك مات قاضيك الأريب
مات الأبى وتحت لين قوله الرأي الصليب
مات الذي تدعوه داعية الولاء فيستجيب
مات الذي ماكان مشهده يذم ولا المغيب
مات الذي ماكان في أخلاقه شيء يريب

مات الذي منظ ومه | لأولي النهى سحر خلوب
الضـــارب الامثال ليـ | س له بروعتها ضريب
هـل فى الجـديد كقوله | المأثور والمعنى جليب
« آهان لو عرف الشباب | وآه لو قـــدر المشيب»

***

شـــعر على الأيام | يرويه مردده الطروب
وكأنما في أذن قارئــه | يغــنى عنـد لبيب
كل المعانى معجب | ما شاء والمبنى عجيب
ناهيك بالالفاظ مما | جـــود اللبق اللبيب
كالدر مكن فى العقود | وللشـــعاع به وثوب
ديباجـــة كادق ما نسـ | ـجت شمال أو جنـوب
فيها حلي جـد الفواتن | وشـــيها واش لعوب
آيات حسن كلها | صفو وليس بها مشوب
فى رقـة النسمات | بالعبق الذكي لها هبوب
تــــتافها رأد الضحى | ويظلك الوادي الخصيب
في بهجـــة الزهرات | باكرهن مدرار سكوب
فاللحظ يشرب والندى | مشمولة والكم كوب

...

كنسيبه الاخاذ بالالباب فليكن النسيب
وكمدحه المـــدح الذي | أبدا له ثوب قشيب
وكوصفه الوصف الذي | عن رؤية الرائى ينوب
يتناول الغرض البعيــد | اذا البعيد هو القريب

أو يبرز الخلق السوي فللحياة به دبيب
كل يصادف من هوا ه عنده ما يستطيب
فكان ما تجري خوا طره به تجري القلوب

∴

لله صبري وهو للغـــة التى انتهكت غضوب
بالرفق « ينقد » ما يزيـ ـف المخطئون ولا « يعيب »
في رايه « اللغة البلاد » أجل هو الرأي المصيب
يودي الفصيح من اللغات اذا غفا عنه الرقيب

∴

أفديك فارقت الحيـــاة وغيرك الجزع الكئيب
جارت عليك فضاق عن سعة بها الذرع الرحيب
تلك الحيـاة وما بها الا لاهل الخبث طيب
كم بت في سهد وأنت لغاية شـقت طلوب
جواب آفاق المعارف والاسى فيها يجوب
حتى تحصل ماتحصل من فنون لا تثيب
وجزاء كذلك ذلك الداء الدوى به تشوب

* * *

الكاتب العربي مهما يدهه فله الذنوب
ان لم يصب مالا وكيف وتلك بيئته يصيب
فالفضل منقصة له وخلاله الحسني عيوب
ويعز بالعيش الكريم وما له منه نصيب
فاذا قنى مالا كما يقنى لعقباه الحسيب

حذر المهانات التي متقدموه بها اصيبوا
اقني بجهوديه قوته وارداه اللغوب

* * *

قتلا بنفث دم قتلت وعج مرقدك الخضيب
حتى اتي اليوم المنجى واسمه اليوم العصيب
فخسوت فيه الموت نخبا ليس تعقبه نخوب
وبحق من كنت المنيب اليه يانعم المنيب
لاخف من بعض المقالة ذلك الموت الحزيب
اعني مقالة كاشح في قدرك امالى يريب
ممن يهش كما تثاءب وهوطاوى الكشح ذيب
شر الانام الباسمون وفي جوانحهم لهيب
المدعون «البحث» حين القصدمنهم ان «يغيبوا»
متنقصو محسودهم وله التجلة والوجوب
فئة تنال من الفتى ما لم تنل منه الكروب
لفخاره تأسي كأن نخاره منها سليب
قالت لتضليل العقول وليس كالتضليل حوب
«صبري مقل ورده عذب وآفته النضوب»
اخبث بما اخفوا وظاهر قصدهم عطف وحوب
ما الشعر يا أهل النهي والذكر ديوان رغيب
من يسال الحصري وابن ذريق فاسمهما يجيب
ازهى وابهى الورد لايأتى به الدغل العشيب
ماذا أجاد سوى اقليل أبو عبادة أو حبيب

لو طبق اسمع النعيب ... ايطرب السمع النعيب
أ لم يطل شدو — وشاديه الهزار — اما يطيب
الشعر تنبية القوافي ... والشعور بها مهيب
وبه من الايقاع ضرب ... لا تحا كيه الضروب
هو محض موسيقى وحسـ ... ـات تصورها الضروب
هو نوح ساقية شكت ... لاقدر مايحوى القليب
هو مابكاه القلب لا ... معيار ماجرت الغروب
هوانة وتسيل من ... جرائها نفس صبيب

***

عمدوا اليك وأنت ميت ... ذاك باسهم الغريب
ولقد تراهم ساخرا ... منهم واشجعهم نخيب
خالوا رداك اباحة ... خابوا ومثلهم يخيب

...

فاذهب ابا الشعراء ... فخرك ليس ضائر دالذهوب
أما بنوك فعند ظن ... النبل ابرار ندوب
نم عنهمو ومقالك العالى ... وجانبك المهيب
لك في النهى بعد النوى ... شفق ولكن لا يغيب

قصيدة حافظ

نعاك النعاة وحم القدر ... ولم يغن عنا وعنك الحذر
طوت (ذبحة الصدر) صدر الند ... ى فلم تطو الا سجل العبر
فأمسيت تذكر في الغابرين ... وان قل مثلك فيمن غبر
اذا ذكرت سير النابهين ... فسيرة (صبري) نجب السير

لقد كنت براً بظل الشباب ... فلما تقلص كنت الابر
فلم تستبق نزوة في الصبا ... ولم تستبح عفوة في الكبر

...

أهنى الثرى أم أعزى الورى ... لقد فاز هذا وهذا خسر
أأول يوم لعيد الربيع ... تجف الرياض ويذوى الزهر
ويذبل زهر القريض الثرى ... ويقفر روض القوافي النضر
ليهدأ (عمان) فغواصه ... أصيب وأمسى رهين الحفر
فقد كان يعتاده دائباً ... بكوراً روٌ وحاً لنهب الدرر
يقول فيرخص در النحور ... ويغلي بجمان بنات الفكر
يسوق القصار فيأبى العثار ... وكم من مطيل مملٍ عثر
قصار وحسب النهي أنها ... لها معجزات قصار السور
رحمت فقد كنت حلو اللسان ... جلي البيان صدوق الخبر
قليل التعجب جم الأناة ... حكيم الورود حكيم الصدر
شمائلك الغر هن الرياض ... روى عن شذاها نسيم السحر
لها مثل روح الدعاء استجيب ... فعافى وآوى وأغنى وسر
اذا ماوردت لها منهلا ... وردت نميراً لذيذ الخصر
وفكرك في خصبه ثروة ... لفكر الأديب اذا ماافتقر
وشعرك كالماء في صفوه ... على صفحتيه تراءي الصور
عيون القصائد مثل العيون ... وشعرك فيهن مثل الحور
وكم لك شكوى هوى أو أسى ... لها نفثات تذيب الحجر
هتفت بها مرة في الهجير ... فكاد يدب اليك الشجر

وكم كنت تشعل فحم الدجى ... بأنفاس صب طويل السهر
فياويح قلبك ماذا ألح ... عليه من الداء حتى انفطر
أيخفق تحت الدجى وحده ... لذكرى أليف سلا أو هجر

...

اذا قيل (صبرى) ذكرت الوليـ ... ـد مومرت بنفسي ذكرى عمر
يزين تواضعه نفسه ... كما زان حسن الملاح الخفر
زكي المشاعر عف الهوى ... شهي الاحاديث حلو السمر
لقد كنت أغشاه في داره ... وناديه فيها زها وازدهر
وأعرض شعري على مسمع ... لطيف يحس نبوّ الوتر
على سمع باقعة حاضر ... يميز القديم من المبتكر
فيصقل لفظي صقل الجمان ... ويكسوه رقة أهل الحضر
يرقرق فيه عبير الجنان ... فتستاف منه النهي والفكر
كذلك كان عليه السلام ... اماماً لكل أديب شعر
فكنا الجداول نروي الظماء ... ظماء العقول وكان النهر

...

زهدت على شهرة طبقت ... وجاه أظل وفضل بهر
خلعت الشباب فلم تبكه ... وساءك أنك لم تحتضر
وقد ذقت طعم الردى عندما ... أصيب قطارك يوم السفر
فأقسمت انك ألفيته ... لذيذ المذاقة اذ تحتضر
تمنيت ان لم تعد للحياة ... ولكن أباها عليك القدر
وكم ساعة بين ساع الحياة ... سقتك المرار بكاس الضجر

فرحت الى أختها شاكياً   أذاتك منها فكانت أمر
ففتشت اثناءها جاهداً   بعيني بصير بعيد النظر
فلم تر فيها على طولها   هنيهة صفو خلت من كدر
وما زلت تشكو الى ان أتت   كما تشتهي ساعة لم تذر
فلا صد تخشاه بعد الوصال   ولا ضعف تشكوه بعد الاثر
أريح فؤادك مما ضناه   ، صدرك مما عليه اكتدر
تحيتها خطوة للممات   تفرج عنك كرب الغير
وهاقد خطاها ونلت المنى   فهل في الممات بلوغ الوطر
صدقت ففي الموت نصر الأبي   على الدهر ان هو يوما غدر

« * »

مللت النواء بدار الزوال   فماذا رأيت بدار المقر
أتحت التراب يضام الكريم   ، يشقى الحليم ويخفي القمر
ويهضم حق الاديب الاريب   ويطمس فضل النبيه الاغر
أتحت التراب تساق الشعوب   بسوط العبودة سوق البقر
ويعقد مؤتمر للسلام   فتخرج منه الى مؤتمر
فان كان ماعندنا عندكم   فليس لنا من شقاء مفر

« * »

خضم الحياة بعيد النجاة   فطوبى لراكبه ان عبر
فعد سالما غانما للتراب   كرأيك في الموت واهنأ بقر



فهرس الكتاب

صحيفة

فهرس المختارات

صحيفة

فهرس المراثى

مؤلفات الكاتب

بالفرنسية

١ — « الثورة المصرية » في مجلدين مصدر كلاهما بمقدمة من قلم مسيو اولار مؤرخ الثورة الفرنسية والاستاذ بجامعة السربون ، وقد نفد الجزء الاول منهما

٢ — « المسألة المصرية » كتاب يشتمل على النقط الاساسية في تاريخ مصر الحديث من وقت دخول الفرنساويين مصر لغاية ثورة ١٩ (يطلب من مكتبة المؤيد بشارع محمد علي ومن المكاتب الفرنسية بالقاهرة والاسكندرية)

بالعربية

١ — « تاريخ الحركة الاستقلالية في ايطاليا » محاضرة القيت في الجامعة المصرية على قسمين وهي تتناول البحث في الحركة الايطالية ورجالها مازيني وكافور وفكتور عما نويل وجار يبلدي ومانان — مقدمة بقلم خليل مطران

٢ — « محمود سامي البارودي » بحث ادبي تاريخي في حياة المرحوم محمود باشا سامي البارودي وشعره ، — الثمن ٥ قروش

٣ — « اسماعيل صبري » حياته وشعره بحث على نسق البارودي الثمن ٥ قروش — وتوجد طبعة على ورق خاص ، ثمن النسخة ١٠ عشرة قروش